

الفصل الثاني والعشرون بعد المئة

المسند ومشتقاته

والمسند من الأقلام العتيقة ، وهو أعتق من القلم النبطي المتأخر ، وهو أقدم الأقلام التي عرفت في جزيرة العرب حتى الآن . وقد أظهرت الاكتشافات الحديثة ان استعماله لم يكن قاصراً على اليمن حسب ، بل لقد كان القلم المستعمل في كل أنحاء بلاد العرب . وقد استعمله العرب في خارج بلادهم أيضاً ، لأنه قلمهم الوطني الذي كانوا به يكتبون فعثر في موضع قصر البنات على طريق (قنا) على كتابات بهذا القلم^١ ، كما عثر على كتابة بهذا القلم كذلك بالجزيرة كتبت « في السنة الثانية والعشرين من حكم بطلميوس بن بطلميوس » . وهي ليست بعد سنة (٢٦١) قبل الميلاد بأي حال من الأحوال^٢ . وعثر على كتابات بالمسند في جزيرة (ديلوس) من جزر اليونان^٣ .

Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 56, M.A.S .Tritton. Nous Signale deux
Graffites, Publiés par A. E. P., Weigall, Travels in the upper Egyptian
Deserts, London and Edinbourg, 1909, PL. IV, Fig. 13, 14, H.A. Winckler,
Rock Drawings of Southern upper Egypt. I, London, 1928, Site I, p. 4,
Ryckmans, in Le Muséon, XLVIII, (1935) .p. 228, J. Leibovich, Les Ins-
criptions Protosinaïtiques, Le Caire, 1934.

F. V. Winnett, « The Place of the Minaeans in the History of Pre-Islamic
Arabia », in BOASOOR, Num : 73, February, 1939.

المصادر المذكورة .

وذكر السائح الانكليزي (وليم كنت لوفتس) William Kennett Loftus انه لاحظ فجوة في (وركاء) Uruk في العراق ، فبحث فيها ، فبين له انها كانت قبراً وجد في داخله حجر مكتوب بالمسند ، فيه : ان هذا قبر (هتسر بن عيسو بن هتسر)^١ .

ولهذه الكتابة المدونة بالمسند ، أهمية كبيرة جداً ، لأنها أول كتابة وجدت بهذا الخط في العراق . وهي تشير الى الروابط الثقافية التي كانت بين اليمن والعراق ، والى وجود أشخاص في هذا المكان كانوا يستعملون المسند ، سواء أكانوا عراقيين أم يمانيين .

وقد عثر على كتابات بالمسند في مواضع من الحجاز ، ويظهر أنه كان قلم الحجازيين قبل الميلاد . وقد وصل هذا القلم الى بلاد الشام . فقد عثرت بعثة علمية قامت بأعمال الحفر في ميناء (عصيون كبر) (عصيون جابر) Ezion Geber على جرار عليها كتابات بحروف المسند رأى بعض العلماء أنها معينة ، تفصح عن الأثر العربي في هذا الميناء المهم الذي حاول سليمان أن يجعله ميناء اسرائيل على البحر الأحمر^٢ .

ويظهر من روايات أهل الأخبار أن غير أهل اليمن ، لم يكونوا يستعملون المسند في كتابتهم ، ولا يتعاطونه ، كالذي استفاد من قصة (قيسة بن كلثوم السكوني) ، وكان ملكاً وقع في أسر بني عامر بن عقيل ، فذكر انه كتب بالسكين على مؤخرة رجل أبي الطمجان حنظلة بن الشرقي أحد بني القين بالمسند ، يخبر قومه بوقوعه في الأسر . ولم يكن أحد من غير أهل اليمن يكتب بالمسند ،

1 Travels and Researches in Chaldaea and Susiana, by W. K. Loftus, London, MDCCCLVII, p. 233, Corpus Inscriptionum Semiticarum, IV, As NUM : 699.

٢ لم يعين موضع المكان بالضبط ولا يبعد كثيراً عن (أبلة) على خليج العقبة ومعهم من يظن أنه كان عند موضع (عين الغديان) الذي هو على بعد عشرة أميال من البحر في قعر (وادي العربية) . وكان (خليج العقبة) على ما يظن بعض العلماء يمتد قديماً الى هذا الموضع ، قاموس الكتاب المقدس (١٠٦/٢) ،

Ency. Bibl., p. 1472, BOASCOOR, NUM : 75, p. 19
NUM : 71, p. 15, Revue Biblique, XLVIII, 1939, p. 247, Asia, May, 1939, p. 294.

فلما قرأه القوم ، ساروا الى بني عامر ، وفتكوا بهم ، وأنقلوا قيسبة منهم^١ .
 ورواية أهل الأخبار هذه لا يمكن أن تكون دليلاً على عدم وقوف غير أهل
 اليمن على المسند في العهود البعيدة عن الإسلام . ولا على عدم استعمالهم لذلك القلم
 في حياتهم اليومية . لأن علم أهل الأخبار بأحوال الجاهليين لا يرتقى كما سبق أن
 قلت الى عهود بعيدة عن الإسلام ، ولأن في أكثر الذي ذكره عنهم ، قصص
 ونسج خيال ، يستوي في ذلك حتى ما ذكره عن الجاهلية الملاصقة للإسلام ،
 ثم إن في الذي عثر عليه السياح من كتابات مدونة بالشمودية أو بأقلام أخرى
 مشتقة من قلم المسند ما يفند الرواية المذكورة في عدم استعمال غير أهل اليمن
 للمسند وفي عدم وقوفهم عليه . ويمكن حمل كلامهم في عدم استعمال أهل الحجاز
 أو غيرهم للمسند على أيام الجاهلية القريبة من الإسلام . حيث ظهر القلم العربي
 الشاهلي .

والرواية لا يمكن أن ترتقي الى زمن بعيد عن الاسلام . فنحن نعلم ان
 (حنظلة بن شرقى) المعروف بالطمحنان ، وهو من (بني القين بن جسر)^٢
 كان شاعراً فاسقاً من المخضرمين . وكان نديماً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية ،
 ثم أدرك الاسلام^٣ ، ولو صدقت الرواية المذكورة وأخذنا بها ، وجب ان تكون
 الكتابة قد وقعت قبيل الاسلام ، ومعنى ذلك ان (قيسبة) وهو من (بني السكون)
 كان يكتب بها ، أي ان المسند كان معروفاً ويكتب به خارج اليمن في هذا
 العهد ، ولهذا يكون قول (الاصبهاني) : « وليس يكتب به غير أهل اليمن » ،
 مغلوطاً ، لأن (قيسبة) لم يكن من أهل اليمن ، حتى يصح قوله .

وكشفت العروض ونجد وأماكن أخرى عن سر كان العلماء يبحثون عنه في
 شوق ، فقدمت للعلاء عدداً من الكتابات المدونة بالمسند ، وبذلك ثبت علمياً ان
 (المسند) كان معروفاً قبل الاسلام في كل جزيرة العرب ، وربما كان القلم العام
 للعرب قبل المسيح ، اي قبل ظهور أقلام أخرى ولدت على ما يظن بعد الميلاد .
 ففي سنة ١٩١١ للميلاد عثر (الكابتن شكسبير) Capt. W.H. Shakespear^٤ على

- ١ (وليس يكتب به « أي بالمسند » غير أهل اليمن) ، الاغاني (١٢٥ / ١١) .
- ٢ الاشتقاق (٣١٧) .
- ٣ الخزانة (٤٢٦ / ٣) ، الشعر والشعراء (٣٠٤ / ١) ، المؤلف (١٤٩) ، الاغاني (١٢٥ / ١١) ، السرط (٣٣٢) .
- ٤ BOASOOR, Nub. 102, (1946), p. 4.

كتابتين بالمسند في موضع (حنا) (الحناة)^١ وفي خرائب (ثج) (ثاج) التي تبعد خمسين ميلاً تقريباً عن ساحل الخليج وزهاء مئة ميل من شمال غربي القطيف^٢ . وقد نشر ترجمة الكتابين (ماركليوث)^٣ . وعثر بعد ذلك على كتابة أخرى في موضع (ثج) (ثاج) دخلت في ملك أمير الكويت ، وقد نشر ترجمتها (ركنس)^٤ . وهي حجر قبر لشخص من قبيلة (شذب) . وعثر على كتابة أخرى في هذا الموضع ، وقد بلغ عدد ما عثر عليه في هذا المكان أربع كتابات^٥ .

وعثر أعمال شركة البترول العربية السعودية الأمريكية (أرامكو) في أثناء الحفر على مقربة من (عين جوان) (جون) (جاوان)^٦ عام ١٩٤٥ للميلاد على حجر مكتوب تكسرت بعض أطرافه بالمعاول قبل معرفته ، انضح بعد أنه حجر قبر لامرأة يقال لها (جشم بنت عمرت) (عمرت) بن تيمو من أسرة (عور)

١ (حنا : لعل صوابها الحناة ، واحدة الحناة بتسهيل الهمزة كما هي عادة عرب هذا الزمان في الكلمات المهموزة . والحناة : موضع يقع غرب بلدة الجبيل - المعروفة قديماً باسم (عينين) الواقعة على البحر الشرقي (الخليج الفارسي) . وتبعد الحناة عن الجبيل ٨٣ كيلومتراً ، وتقع على مسر الطريق منه ومن الظهران والأحساء ولن يقصد الكويت أو العراق أو نجدا) ، كتاب من السيد حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م ، (عينين) ، البلدان (٢٥٨/٦) .

٢ (ثاج بالجم : قال الغوري : يهمز ولا يهمز عين من البحرين على ليال . وقال محمد ابن ادريس اليمامي : ثاج قرية بالبحرين) ، البلدان (٢/٣) ، (ثج) ، وهي التي وردت في الشعر العربي القديم . وفي ياقوت مهموزة . ولكن العرب في هذا العهد لا يهزونها . وثاج : موضع فيه سكان وزروع قليلة ، يقع بقرب الحناة في الجنوب الغربي منها بمسافة لا تتجاوز عشرة كيلومترات) ، كتاب من السيد حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م ، البكري ، معجم (٣٣٣/١) .

٣ Douglas Crruthers ، « Captin Shakespear's Last Journy » ، in the Geographical Journal, LIX, (1922), 321-323, Corpus Inscriptionum Semiticarum, Nos. 984 - 985.

٤ Ryckmans, in Le Muséon, L, p. 239, Ryckmans 155.

٥ Le Muséon, L, p. 237, Ryckmans 155.

٦ (عين جوان - الصواب : جاوان) ، ويقع موضع جاوان في داخل الرأس المعروف حديثاً باسم (رأس تنورة) في الجهة الشمالية منه على ساحل البحر ، بعد مدخل الرأس ببضعة كيلومترات . وكانت عينه تسقي نخيلاً وزروعاً ولكن ماءها قل ، حتى زالت مزروعاتها . كتاب من السيد حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م .

(آل عور) من قبيلة شذب^١.

واستخرج (كورنول) P.B. Cornwall لوحاً مكتوباً بالمسند كان مدفوناً في أحد بساتين القطيف ، دفنه أصحاب البستان ، وقد ذكر أنه نقل من جزيرة (ثاروت) أو من موضع لا يبعد كثيراً عن القطيف ، وقد وجد أن هذا اللوح هو مثل الألواح التي عثر عليها قبلاً ، شاهد قبر ، وضع على قبر رجل يقال له (ايليا بن عيني بن شصر من أسرة سمم من عشيرة ذال من قبيلة شذب)^٢ . ويرى بعض الباحثين أن صاحب القبر كان نصرانياً ، عاش في القرن الخامس أو السادس للميلاد .

وعثر على شاهد قبر آخر مدون بالمسند ، هو شاهد قبر (شبام بنت صحار ابن عنهل بن صامت) من قبيلة (يدعب) ، وجد على مقربة من القطيف^٣ . و (يدعب) بطن من بطون قبيلة (شذب) . ويظهر أن قبيلة (شذب) كانت من القبائل المعروفة في العروض ، وكانت ذات عدد من البطون ، ولا تحمل الكتابة تاريخاً ، ويرى الذين درسوها أنها تعود الى القرن السادس للميلاد . وأما الرقم الذي ذكر في نهاية النص وهو رقم (٩٠) ، فالظاهر أنه يشير الى عمر صاحبة القبر .

هذا ما عثر عليه من كتابات بالمسند في العروض . وأما في أواسط جزيرة العرب وفي باطنها وفي الأماكن التي لم يكن يتصور العثور فيها على أثر لحضارة ، فقد عثر فيها على كتابات بهذا القلم كذلك ، وهذه الكتابات أهمية كبيرة ؛ لأنها أول وثيقة تاريخية لا يتطرق إليها الشك ، ترد إلينا عن هذه المناطق التي لم يرد لها ذكر مفصل عند المؤرخين السابقين ، لأنها أول دليل عملي يثبت انتشار هذا الخط في أواسط جزيرة العرب . عثر (فليبي) في هذه المناطق على فخار وآثار

١ BOASOOR, NUM : 102, April 1946, p. 4, « A Himjaritic Inscription from the Persian Gulf Region », by F.V. Winnett, BOASOOR, Supplementary Studies Nos. 7-9, « The Early Arabian Necropolis of Ain Jawan », by Richard Lebron, 1950.

٢ Geographical Journal, Vol. CVII, 1-2, 1946, « Ancient Arabia : Explorations in Hasa, 1940-1941 », by P.B. Cornwall, p. 44.

٣ المصدر نفسه (ص ٤٥) .

٤ المصدر نفسه .

أرسلها الى المتحف البريطاني ظهر انها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد . ويظن من فحصها انها من آثار السبئيين^١ . كما عثر على كتابات وصور ، وبقايا مقابر وعظام .

وقد صور (فليبي) بعض الكتابات ، وصور بعضاً آخر رجال شركة البترول العربية السعودية الذين وصلوا الى هذه المواضع للبحث عن البترول . وقد وصلت تصاوير عدد منها الى العلماء فنشروا نصوصها وترجماتها ، مثل كتابات (القرية) أو (قرية الفأو) التي سبق أن تحدثت عنها . وقد وجد اسم الصنم (ود) مكتوباً بحروف كبيرة بين تلك الكتابات^٢ ، وحيث أن هذه الكنوز الثمينة إنما عثر عليها ظاهرة على سطح الأرض ، وحيث أن الباحثين لم يفحصوا الكهوف فحصاً دقيقاً ، ولم ينظفوها من الأتربة والرمال التي في داخلها ، فإننا نأمل العثور على أشياء ثمينة ذات بال بالنسبة للتأريخ الجاهلي إذا اهتمت الحكومة العربية السعودية بهذا الأمر ، وقامت بتجهيز بعثة علمية من المتخصصين بالآثار العربية ، أو سهلت للعلماء والبعثات سبل الوصول إليها ، وحافظت على تلك الآثار من التلف وعبت العابثين .

ووجد (فليبي) كهوفاً ومقابر في مواضع أخرى من (وادي الفأو) ، وقد وجدت حيطان بعض الكهوف (سردب) (سرداب) مكسوة بالكتابات (والوسم) والتصاويز المحفورة . ويظهر أن أبنية ضخمة كانت في هذه الأماكن^٣ .

وعثرت شركة (أرامكو) على رأس نحت من الحجر في (القرية) كتب عليه بالمسند أنه (ثار ونفسي علزن بن قلزن غلونين)^٤ ، أي (اثر وقبر علزان ابن قلزان الغلوني) . كما وجدت كتابات بهذا القلم عند جبل عبيد وفي حصن ناطق وفي شمال موضع (خشم كعدة) على مسافة (١٠٠) كيلومتر من شمال قرية

١ « A Further Journey across the Empty Quarter », by W. Thesinger,
in Geographical Journal, CXIII, (1949), p. 21.

٢ Geographical Journal, CXIII, (149), p. 91.

٣ Geographical Journal, CXIII, (1949), p. 90, Le Muséon, LXII, 1-2, (1949),
p. 87.

٤ Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 87, Qariya, I, Philby 221a.

الفاو في وادي الدواسر^١ ، وفي (وادي هبن) (حبن)^٢ على (١٢٠) ميلاً شمال شرقي عدن^٣ . وفي (عين قرية) على (٣٠) ميلاً تقريباً من شمال (زفر) وفي (منخلى) في جنوب خشم العرض حيث يعتقد البدو أن هذا الموضع هو بئر من آبار عاد^٤ .

لم يفسر علماء العريسة سبب تسمية (المسند) مسنداً ، وقد قرأت لإسرائيل ولفنسون تعليلاً لتسمية هذا القلم مسنداً ، فقال : « والخط المسند يميل الى رسم الحروف رسماً دقيقاً مستقيماً على هيئة الأعمدة . فالحروف عندهم على شكل العمارة التي تستند الى أعمدة . وعلى العموم فإن لحضارة جنوب بلاد العرب عقلية تنحو نحو الأعمدة في عمارة القصور والمعابد والأسوار والسدود وأبواب المدن .

ومن أجل ذلك يوجد عندهم ميل شديد لإيجاد حروف على هيئة الأعمدة ، أي ان الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند الى أعمدة .

وقد تنبه علماء المسلمين الى شكل هذه الكتابات وأطلقوا عليها لفظة المسند ؛ لأن حروفها ترسم على هيئة خطوط مستندة الى أعمدة^٥ .

وهو رأي سبقه اليه (ليدزبارسكي) Lidzbarski إذ أشار الى أثر العمارة والأعمدة في شكل هندسة حروف الخط المسند وهو تفسير يشبه تفاسير الأخباريين واللغويين للأسماء والأعلام التي لا يعرفون من أمرها شيئاً ، فيلجأون الى الخيال لبيتكر لهم سبباً وتعليلاً يناسب الكلمة، ويتصورون عندئذ أنهم قد أوجدوا السبب، وأن من يأتي بعدهم سيكتفي بذلك ويأخذ به .

وكذلك كوّنت كلمة (المسند) في نخيلة (اسرائيل ولفنسون) ولدى (ليدزبارسكي) فكرة استناد خطوط الحروف وقيامها بعضها الى بعض استناد المباني ،

-
- ١ Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 99, Philby, Wadi Dewasir, I.
 - ٢ هكذا ورد في مجلة (Le Muséon) (هبن) (Haban) بدون نقطة أو علامة تحت حرف H تدل على أنه (حاء) . ولعل الكلمة (الحبن) ، وهو موضع ذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب (ص ٦٨) .
 - ٣ Le Muséon, LXII, 1-2, (1949), p. 103.
 - ٤ Geographical Journal, CXIII, (1949), p. 31, 34.
 - ٥ تاريخ اللغات السامية (٢٤٣ وما بعدها) .
 - ٦ Lidzbarski, Ephemeris, I, S. 114, Hommel, Grundriss, Erste Halfte, S. 146.

وقد وجدا من مباني اليمن وقصورها ما قوى هذا الخيال عندهما ، مع ان كلمة (المسند) التي تطلق في المؤلفات العربية الاسلامية على خط أهل اليمن قبل الاسلام لا علاقة لها بالتصوير والمباني، واستناد أجزاء الحرف الواحد بعضها الى بعض ، وانما تعني شيئاً آخر ، تعني خط أهل اليمن القديم لا أكثر ولا أقل . وكلمة (مسند) (مزند)^١ في العربية الجنوبية تعني (الكتابة) مطلقاً ، وقد وردت في مواضع متعددة من الكتابات والنقوش ، فورد في نص أبرهة مثلاً (سطرو ذن مزندن) ، وترجمتها : (سطروا هذه الكتابة) ، وتؤدي كلمة (سطرو) المعنى نفسه الذي يرد في لغتنا ، وهو : (سطروا) ، اي كتبوا ودوتوا ، فكلمة (مزندن) التي صارت (المسند) في عربيتنا تعني في العربية الجنوبية ما تعنيه كلمة الخط او الكتابة في لغة القرآن ، ولم تكن مخصصة عند اليابانيين بخط حبير ، او غير حبير، وانما حدث هذا التخصيص في المؤلفات الاسلامية فصار فيها (المسند) اسم علم لخط حبير وحده . ولا ندري متى حدث ذلك : أحدث في الجاهلية المتصلة بالاسلام أم في الاسلام ؟

واذا كان هذا التخصيص قد وقع في الاسلام ، فإننا لا نستطيع أيضاً التكهن عن الوقت الذي ظهر فيه هذا التخصيص ، لأننا لا نملك مصادر اسلامية تشير الى هذا ولا مؤلفات من صدر الاسلام يمكن ان نجد فيها ما نبحت عنه . ويتألف المسند من تسع وعشرين حرفاً، وأبجديته مثل الأبجديات السامية الأخرى من حيث أنها تتألف من الحروف الصامتة ولا حركة في الكتابة فيها ولا ضبط في أواخر الكلمات ولا علاقة للسكون او للتشديد . ويفصل بين الكلمة والكلمة التي تليها فاصل هو خط مستقيم عمودي . وقد يكتب الحرف المشدد مرتين كما في اللغات الأوروبية .

ومما يلاحظ على الكتابات المعينية انه لم يطرأ عليها تغيير كبير في العهود التي مرت بها . أما الكتابات السبئية ، فيمكن التمييز بين القديم منها والمتأخر في الأسلوب ، وفي شكل الكتابة^٢ .

١ بحرف الزاي في لغة أهل اليمن لا السين .

٢ غويدي : المختصر في علوم اللغة العربية الجنوبية القديمة ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، (ص ٣) ،

Höfner, Altsüdarabische Grammatik, Leipzig, 1943, Weber, S. 12,
Pfanmuller, S. 86, Mordtmann, Beiträge zur Münäischen Epigraphik,
Weimar, 1896.

وللمسند ميزات امتاز بها عن القلم العربي ، فحروفه منفصلة ، وهي بشكل واحد لا يتغير بتغير مكان الحرف من الكلمة . فإذا جاء الحرف في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها ، كتب بشكل واحد . وقد جعلت هذه الخاصية لهذا القلم ميزة أخرى ، هي ميزة الكتابة به من أي جهة شاء الكاتب ان يبدأ بها . فله ان يكتب من اليمين الى اليسار وله أن يكتب من اليسار الى اليمين ، وله ان يمزج بين الطريقتين ، بأن يكتب على الطريقة الخزونية ، من اليمين الى اليسار ، ثم من اليسار الى اليمين ، ثم من اليمين الى اليسار ، أو العكس ، وله أن يكتب من أعلى الى أسفل أو العكس وهكذا ، ثم ان حروفه غير متشابهة لذلك لم يعرف المسند الإعجام ، ولو كتب له ان يكون قلم المسلمين ليستر لنا اليوم وقتاً ومالاً في موضوع الطباعة به . ولكنه أبطأ في الكتابة نوعاً ما من الخط العربي لشكل حروفه الضخمة بالنسبة الى الحروف العربية المختزلة ، فالخط العربي يمتاز عليه بهذه الناحية فقط . أما موضوع الشكل ، فالمسند غير مشكول ، بل يكتب بحروف صامتة فقط .

وفي القرن التاسع عشر وما بعده كشف المستشرقون النقاب عن أقلام أخرى لم يعرفها علماء العربية ، هي : القلم الثمودي ، والصفوي ، واللحياني . وكتابات أخرى كتبت بلهجات محلية عثر عليها في الجوف ، وفي الحجر وفي العلا ، وفي مناطق أخرى كجبل شبحان ، وكوكبان ، وجبل شمر ، لها بعض الخصائص والمميزات اللغوية . والظاهر ان خط هذه الكتابات كان مستعملاً بين السواد في الأمور الشخصية¹ .

أما القلم الثمودي ، فقد عثر على كتاباته في العربية الغربية ، وفي الجمهورية العربية السورية وفي المملكة الأردنية الهاشمية وفي الحجاز ، فقد عثر على كتاباته في مواضع متعددة من الحجاز ، فيما بين المدينة ومكة وعلى مقربة من الوجه والطائف ، وفي (ربيع الزلالة) عند السيل الكبير على طريق الطائف

Grundriss, I, S. 147, Transaction of the 9th Inter. Congr. of Orientalists, Vol. I, p. 86, (London), 1893, Über die Protoarabischen Inschriften, in Aufs und Abh., S. 41, 161, Saudarabische Chrestom., S. 6, Lady A. Blunt, A Pilgrimage to Nejd, London, 1881, Vol. 2.

مكة^١ . وعثر على كتابات ثمودية في (حائل) وأماكن أخرى من نجد وفي اليمن .
وفي هضبات شبه جزيرة سيناء^٢ .

هذا وقد عثر على كتابات ثمودية كثيرة في (ريع الزلالة) (سيل الغربان) ،
الى الشمال من الطائف على مسافة أربعين كيلومتراً منها^٣ . وفي وادي (الاب)^٤ ،
وفي مواضع أخرى من الحجاز ونجد ، مما يدل على انتشار الثموديين في مواضع
واسعة من جزيرة العرب .

وأما القلم الصفوي ، فقد عثر عليه في منطقة الصفاة شرقي الشام ، وفي بادية
الشام ، ولا يعني هذا ان هنالك قبائل كانت تسمى قبائل صفوية ، بل هو
اصطلاح أطلقه المستشرقون على الخطوط التي وجدت في ناحية الصفاة ، وهي
تشتمل على كتابات قريية من كتابة لحيان وثمود . كما عثر على كتابات صفوية
في مواضع من بادية العراق ، ويوجد عدد منها في ملك مديرية الآثار القديمة
العامة في العراق^٥ . كما عثر على عدد كبير منها في المملكة الأردنية الهاشمية . وقد
نشرت نصوص بعض منها في جريدة الآثار للمملكة الأردنية الهاشمية^٦ .

والموطن الرئيسي للكتابات اللحيانية هو منطقة العلا ، ولا سيما موضع (الخريبة)
والصخور الواقعة الى شرقه ، حيث عثر فيها على مئات من الكتابات التي تعود

١ (عقبة الزلالة ، الواقعة بين مكة وبين الطائف ، وهي تنية ينحدر منها القادم من
الطائف على السيل الكبير) ، الموضع المعروف قديماً باسم (قرن المنازل) وتبعد
عن هذا الموضع خمسة كيلومترات تقريباً وتقع في شرقيه ، وتسمى الآن (الريع
الصغير) . وقد شاهدهت بقربها بينها وبين السيل الكبير جبلا فيه كتابات كوفية
قديمة . وحدثت بأن (فلبني) رأى في تلك الجهة تمثالا من الصخر منحوتا في الجبل
يمثل رجلا واقفا ، وانه اطلع على كتابات قديمة في تلك الجهة) ، كتاب من السيد
حمد الجاسر ، تاريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠ م ،

٢ نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب ، القاهرة ، ١٩٤٣ م ، (ص ١٠٩) ،
E. Littmann, Entzifferung der Thamudischen Inschriften, 1904, Hubert
Grimme, Die Lösung des Sinalschriftproblems, Die Althamudische
Schrift, Münster, 1926.

٣ A. Grohmann, Arabic Inscriptions, Louvain, 1962, p. 2.

٤ كتابات من الادب ، للدكتور عبدالرحمن الانصاري ، مجلة كلية الآداب بجامعة
الرياض ، المجلد الاول ، السنة الاولى (١٩٧٠) ، (ص ١١٣ وما بعدها) .

٥ راجع نشرات مديرية الآثار القديمة في العراق ومجلة سومر .

٦ Annual of the Department of Antiquities of Jordan.

الى شعب لحيان^١ .

والأقلام الصفوية والثمودية والحسانية ، مثل المسند ، ليس لها علامات لا للفتح ولا للكسر ولا للضم ولا للاشباع ولا لاتحاد الفتحة والواو والباء (أي الإمالة Diphthong) الخ ... كما ان حروفها تأخذ صوراً متعددة ، فإرد الحرف الواحد في كل قلم من الأقلام المذكورة بصور مختلفة ، ولذلك تجابهنا صعوبات كبيرة في محاولتنا قراءة الكلمات والجمل قراءة صحيحة. ويحتاج القارئ الى مران طويل ودراسات اللهجات العربية الأخرى لضبط الكلمات في هذه اللهجات، ومعرفة معانيها .

وقد لاحظ المستشرقون مشابهة كبيرة بين الأقلام المذكورة وبين المسند ، كما وجدوا هذه المشابهة بين عدد من الأقلام التي استعملت في غير جزيرة العرب والمسند، وبعد مقابلات بينها ودراسات ذهبوا الى تفرعها من المسند . وهذه الأقلام المذكورة كلها متأخرة عن المسند ، وتعود تواريخ قسم منها الى ما قبل الميلاد ، ومنها ما يعود تأريخه الى ما بعد الميلاد .

ومما يلاحظ على هذه الأقلام اختلاف صور أكثر الحروف فيها ، فقد تكون للحرف صورتان ، وأحياناً ثلاث صور أو أكثر ، غير ان هذا الاختلاف ليس كبيراً في الغالب بحيث يتعذر معه تمييز أشكال الحرف الواحد ، ولا نجد فيها الوضوح والبساطة التي نجدها في المسند ، كما لا نجد فيها هذه الخطوط المستقيمة المنقوشة بدقة وعناية في الكتابات المعنية او السبئية او الحضرمية او القتبانية او الحميرية ، فكأن كتابهم كانوا يرون العجلة في الكتابة والاسراع في التسطير لضيق الوقت ، لذلك لم تكن حروفهم دقيقة واضحة .

وأما الأقلام التي تشبه حروفها المسند . واستعملت عند أقوام عاشوا في أقطار لم تكن من جزيرة العرب ، فنما التلم الحبشي القديم ، وقد عثر على كتابات به في منطقة (بحا) (بها) Jeha ، وهي تمثل أقدم نماذج الكتابات الحبشية، وقلمها هو القلم السبئي القديم ، وفي (اكسوم) وتعود الى القرن الرابع للميلاد^٢ ،

1 Ency. Vol. 3, p. 26, Müller, Epigraphic Denkmäler aus Arabien, XXXVII, 1889, Jaussen and Savignae, Mission Archéologique en Arabie, I, Paris, 1909, p. 263, Vol. II, p. VIII-XIV, 27-77, 361-534, Lidzbarski, Ephemeris für Semit. Epigraphic, II, 23-48, 345-361, III, 214-217, F.V. Winnet, A Study of Lihyanite and Thamudic Inscriptions, Toronto, 1937.

2 السامية (٢٥٧) . Grundriss, I, S. 148.

وكتابات نصرانية كتبت باللهجة (الجزرية) وتعود الى القرن الخامس للميلاد^١. وقد استعملت في هذه الكتابات الجزرية الأصوات مع الحروف ، وبذلك اختلفت عن الأبجديات السامية التي استخدمت الحروف الصامتة حسب ، وذلك بإضافة شيء يشبه الحركات في صلب الحروف يقرأ معها ولا تفهم هي بدونها^٢. ومع ذلك احتفظت بالأشكال الأصلية للحروف العربية الجنوبية ، ولم تبعد عنها كثيراً . ويمكن إدراك أثر المسند في الكتابة الحبشية المستعملة في الوقت الحاضر دون كبير عناء .

وذهب كثير من المستشرقين الى أثر المسند نفسه أو بالواسطة في عدد من الأقاليم الأخرى ، منها كتابات عثر عليها في إفريقية Meroitische Schrift في إحدى اللهجات الكوشية أو النوبية^٣. والخط البربري القديم الذي يعود الى أيام قيصرية رومة . والقلم البراهمي (Brahma Script – Devanagari Alphabet) ، حيث نلاحظ شبيهاً كبير بين حروف هذا القلم والمسند. ولا يستبعد أثر المسند فيه ؛ لأن العلاقات بين العربية الجنوبية والهند كانت قديمة جداً^٤.

يظهر أن المسند كان القلم الرئيسي في جزيرة العرب قبل الاسلام ، وأن جزيرة العرب كانت تكتب به قبل المسيح . وأن أقلاماً تفرعت منه قبل المسيح وبعد المسيح ، لأسباب لا تزال غير واضحة ، وقد تكون لأشكال الحروف التي تتطلب دقة في الرسم علاقة بذلك ، فالكتاب الى ابتكار أشكال مرنة لا تحتاج الى عناية في الرسم ، فاستخدموها في الكتابة لسهولة استخدامها . فتولدت منه الكتابات المذكورة .

-
- Grundriss, I, S. 148, D.H. Muller, Epigr. Denkmäler aus Abessinien, Wien, 1894, Tafel, II, IV. ١
- السامية (٢٥٦) ، ٢
- Grundriss, I, S. 148, Glaser, Die Altäbess. Inschr. von Marib, in ZDMG., Bd., 50, (1896), S. 468, Die Abessinier in Arabien und Afrika, München, 1895, S. 168.
- R. Lepsius, Denkmäler aus Aegypten und Aethiopen, VI, Bd., I-II ٣
in Bd., XI, Grundriss, I, S. 149.
- Grundriss, I, S. 149, Isaac Taylor, The Alphabet, Vol. 2, p. 314, ٤
Georg Buhlets, Indian Brahma Alphabet, Wien, 1895, p. 2,
Ency. Brit. I, p. 683.

أصل القلم المسند :

ذكرت أن أكثر المستشرقين رأوا أن القلم العربي الذي دون به القرآن الكريم، أخذ من القلم النبطي المتأخر . أما المسند ، فقد رأى كثير منهم أنه اشتق من الأبجديات السامية الشمالية كذلك^١ . وذهب بعضهم ان أنه تفرع من الأبجدية السينائية ومنهم من قال إن الأبجدية العربية الجنوبية تفرعت من نفس الأصل الذي أوجد الخط الفينيقي ، فهي لذلك من أقدم الأبجديات المعروفة^٢ . ونحن إذا أنعمنا النظر في شكل الأبجدية الطورسينائية والمسند، نجدهما لا تشابهان إلا في رسم حرفين أو ثلاثة^٣ . وتتكون الأبجدية الطورسينائية من اثنين وعشرين حرفاً كالفينيقية والبرانية . أما الأبجدية العربية الجنوبية ، فتألف من تسعة وعشرين حرفاً ، أي بزيادة سبعة أحرف على أبجدية طور سيناء .

وحجة القائلين أن المسند قد أخذ من القلم الفينيقي ، وأن الأبجدية الفينيقية هي أقدم الأبجديات وأم الأبجديات^٤ . ولكننا إذا أنعمنا النظر في رسم حروف الأبجديتين، نجد التشابه بينها في هيئة الحروف ورسمها ليس كبيراً ، كما أن الأبجدية العربية الجنوبية تزيد عليها في سبعة أحرف، وهذه الأحرف الزائدة لا تختلف عن الأحرف المشتركة بين الأبجديتين في هندسة الرسم والشكل . فلعل الأبجديتين قد تفرعتا من أصل واحد^٥ ، فلا يعد المسند لذلك فرعاً نبت من الفينيقية .

وزعم نفر من الباحثين في تطور الخط أن المسند مشتق من القلم الكنعاني ، ولكن بعض علماء العربية الجنوبية ينكر هذا الرأي . إذ يرى أن المسند أقدم عهداً من الأبجدية الكنعانية ، وأن الكتابات العربية الجنوبية أقدم زمناً من أقدم الكتابات الكنعانية، فلا يصح إذن القول بأن المسند مشتق من القلم الكنعاني . ومما يلاحظ على الأبجديتين ان الأبجدية الكنعانية يعوزها من الحروف : ذ ، ض ، ظ ، س (سامخ) ، ث ، غ . ولكن الأبجديتين تشتركان اشتراكاً تاماً في الحروف : ج ، ط ، ل ، ن ، ع ، ش ، ق ، ت ، و . وتختلفان في بعض الحروف

BOASOOR, NUM : 118, April 1950, p. 13. ١

Background, p. 11. ٢

Ency. Brita. I, p. 680. ٣

Lidzbarski, Ephemeris, I, S. 109, The Art of Writing, p. 11. ٤

Grundriss, I, S. 145. ٥

اختلافاً كبيراً ، وليس بمستبعد أن تكون الأبجديتان قد تفرعتا من أصل واحد .
والرأي عندي ان من الصعب البت في الوقت الحاضر في موضوع أصل المسند،
لأن صور الأبجديات القديمة الواصلة إلينا لا تزال قليلة ، ولا نجد بين صورها
وبين صور المسند تشابهاً كبيراً بحيث يمكن ان نستنبط من هذا التشابه حكماً يفيدنا
في تعيين أصل المسند . والتشابه بين حروف قليلة لا يمكن ان يكون سبباً للحكم
باشتقاق خط من خط . وعندني ان الأبجدية العربية الجنوبية تمثل مجموعة خاصة ،
تفرعت من أصل لا نعرف من أمره اليوم شيئاً، لأن شكل حروف المسند لا يشبه
شكل حروف الأبجديات المعروفة ، فلننتظر فاعل المستقبل يكشف للعالم القاب عن
أبجديات مجهولة^١ .

ولا يعقل بالطبع ان يكون أهل العربية الجنوبية قد أوجدوا خطهم من العدم،
من غير استعانة بعلم مسبق عن الحروف والأبجديات ، بل لا بد ان تكون أبجديتهم
قد أخذت من أبجدية أخرى ، ومن فرع من فروع الخط الذي أوجده البشرى،
ودليل ذلك ان أسماء الحروف الأساسية التي ترد في كل أبجدية هي واحدة ، وفي
وحدة الأسماء دلالة على وجود أصل واحد ، تفرعت منه الخطوط. والمسند بالنسبة
لنا ، هو خط قائم بذاته ، يشابه الخط الحبشي ، ومن فروع الأبجدية اللحيانية
والثمودية والصفوية . فكل هذه الأبجديات هي من فصيلة واحدة رأسها المسند ،
أما ما فوق المسند ، فلا نعرف من أمره أي شيء .

وفي المسند حرف لا وجود له في أبجديتنا يكون على هذا الشكل :



وهو بين الزاي والسين ، ولذلك يجعله البعض شيئاً حين يتقلون نص كتابة
عربية جنوبية الى عربيتنا ، او الى اللغات الأوروبية . كما يقرأ حرف الجيم (ج)
« كجا » في المسند على نحو نطق المصريين بهذا الحرف في لسانهم .

ومن القلم المسند أخذ الأحباش قلمهم الذي يكتبون به ، نقله اليهم السبثيون

١ السامية (٢٤٢ فما بعدها) .

الذين هاجروا الى الحبشة قبل الميلاد وأقاموا لهم حكومة هناك وأثروا في الأبحاش، فكان من تأثيرهم فيهم هذا القلم الحبشي .

وحروف المسند منفصلة غير متصلة ، أعني انها ليست كحروف الأبجدية التي نكتب بها ، بل الحروف فيها مستقل بعضها عن بعض غير متصل به . ولتمييز الكلمات بعضها عن بعض ، وضع الكتاب خطوطاً مستقيمة عمودية تشير الى انتهاء الكلمة والى ابتداء كلمة جديدة . وتبدأ الكتابة عندهم من اليمين في العادة، وتنتهي في اليسار ، غير أنهم قد يكتبون من اليسار أيضاً ، وينتهون بالسطر في اليمين . وقد يمزجون بين الطريقتين فيبتدئون في اليمين مثلاً وينتهون بالسطر في اليسار ، ثم يبدأون في السطر الذي يليه من اليسار ، وينتهون في اليمين ، ويبدأون بالسطر الذي يليه من اليمين لينتهي باليسار، ويبدأون في الثالث من اليسار وينتهون باليمين، وهكذا حتى تنتهي الكتابة . أما اذا ابتدأوا بالكتابة من اليسار ، فينتهون بالسطر في اليمين ، ثم يبدأون في السطر الثاني باليمين لينتهوا به في اليسار ، وليبدأوا بالسطر الثالث من اليسار ولينتهوا به في اليمين ، وهكذا يسرون على هذا المنوال حتى تنتهي الكتابة . ويلاحظ ان لشكل حروفهم خاصية جعلتها تصلح لأن يكتب بها في أول الكلمة او في وسطها او في أواخرها من دون حاجة لاجراء اي تعديل على جسم الحرف العام ، لأنها حروف منفصلة غير مربوطة . وهي تمتاز من هذه الناحية عن حروف أبجديتنا ، التي تربط فيها الحروف ، فتستعمل حرف العين مثلاً في أول الكلمة بصورة تختلف عن صورة هذا الحرف اذا استعمل في الوسط، وتستعمل هذا الحرف في آخر الكلمة بصورة تختلف عن استعماله في أول اللفظة او في وسطها ، أي انها تحدث تغييراً على جسم الحرف . ولهذا الخاصية صار في الامكان الابتداء بحروف المسند من أية جهة أراد الكاتب أن يكتب بها من ناحية اليمين او من ناحية اليسار ، او بالجمع بين الطريقتين من غير أي تأثير في قابلية القارئ على القراءة ، كما صار من السهل على المبتدئ بالكتابة والقراءة تعلم الخط بالمسند بكل سهولة ، لوجود شكل واحد لا يتغير للحروف . فهو لهذا صار أسهل تعلماً من الخط الذي نكتب به الآن ذي الأشكال المتعددة الحروف، كما انه خال من التنقيط الموجود في عربيتنا لتمييز الحروف المتشابهة في هذا الشكل بعضها عن بعض ، وهو مما سبب لنا مشاكل خطيرة في كيفية ضبط الحروف والألفاظ ، عند وقوع التصحيف ، بسقوط نقطة من الكتابة سهواً ، او بوضع

النقطة في موضع يجب ألا توضع فيه ، او بوقوع سهو في عدد النقط .
وقد راعى الكتاب استعمال الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات مراعاة تامة ،
لأنها هي العلامة الوحيدة التي ترشد القارئ الى انتهاء لفظة وابتداء لفظة جديدة ،
ولم يخطر ببالهم وضع فراغ بين نهاية كلمة وابتداء كلمة جديدة ، أو لأنهم لأمر
ما لم يستعملوا هذا الفراغ خشية حصول التباس قد يفسد على القارئ قراءته ،
وقليلاً ما خالف كتابهم هذه الطريقة فأغفلوا وضع هذه الأعمدة الفاصلة . ولم
يستعمل كتابهم علامة ما دالة على انتهاء جملة وابتداء جملة أخرى جديدة أو
انتهاء فصل وابتداء فصل جديد ، كذلك لم يستعملوا ما نستعمله نحن في الزمن
الحاضر من علامات فواصل لأداء معاني خاصة يقتضيه الكلام وعلامات استفهام ،
لأن هذه الأشياء من الأمور المتأخرة التي أدخلت على الكتابات الغربية ، ولم تكن
معروفة عند الأقدمين .

وحروف المسند حروف غير مشكلة ، فليس فوقها أو تحتها حركات كما هي
الحال في عربيتنا حين نرغب في تحريك الحروف . وهي غير منقطعة كذلك فلا
نقط فوق بعض الحروف أو تحتها لتميزها عن غيرها من الحروف المشابهة لها كما
هي الحال في أبجديتنا أيضاً ، ولم يرمز عن الحركات بحروف أو برموز تستعمل
مع الحروف الصامتة داخل الكلمة ليتمكن بها القارئ من النطق بالكلمة النطق
الصحيح كما حدث ذلك في الأبجديات اللاتينية، وفي الأبجديات الأخرى التي سارت
على نهجها وسيلها، ولم يرمزوا عن حرف المدّ بشيء ولا عن السكون أو التشديد .
وهذا مما جعلنا في حيرة من النطق بكلماتهم نطقاً صحيحاً مضبوطاً ، وجعل القارئ
الحديث يذهب مذاهب مختلفة في كيفية ضبط الكلمة وفي كيفية النطق بها . فلفظة
مؤلفة من حروف صامتة وحدها ، لا يمكن أن ينطق بها النطق الصحيح المضبوط
ولا يمكن معرفة معانيها بسهولة ، وقد ولدت هذه الطريقة مشكلات كثيرة لنا
من حيث التوصل الى معرفة نحو تلك اللهجات وصرافها^١ .

ولا توجد في المسند علامة لتشديد الحرف ، وقد يكتب الحرف مرتين كما
هي الحال في الأبجديات الأوروبية للدلالة على أن الحرف مشدد^٢ ، ويكون ذلك
في الكتابات المعينية^٢ .

١ غويدي ، المختصر (ص ٣) .
٢ المصدر نفسه .

واقْتِصَارِ الكِتَابِ عَلَى اسْتِعْمَالِ الحُرُوفِ الصَّامِتَةِ وَحَدِّهَا ، جَعَلَ مِنَ العَسِيرِ عَلَيْنَا البَتَّ فِي كَيْفِيَةِ النُّطْقِ بِالكَلِمَاتِ وَالتَّعْرِفِ بِسَهُولَةٍ عَلَى مَوَاضِعِ الكَلِمِ مِنَ الإِعْرَابِ .
وَلَوْلَا الاسْتِعَانَةُ بِاللهِجَاتِ العَرَبِيَّةِ البَاقِيَةِ المُسْتَعْمَلَةِ فِي اليَمَنِ ، وَبِلُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيمِ ،
وَبِالمَعْجَمَاتِ ، وَبِاللُغَةِ الحَبَشِيَّةِ ، لَكَانَ مِنَ الصَّعْبِ عَلَى القَارِئِينَ لِلكِتَابَاتِ العَرَبِيَّةِ
الجَنُوبِيَّةِ التَّوَصُّلَ إِلَى فَهْمِ مَعَانِيهَا وَإِلَى قِرَاءَتِهَا قِرَاءَةً مُضْبُوطَةً أَوْ قَرِيبَةً مِنَ القِرَاءَةِ
الصَّحِيحَةِ ، وَالتَّوَصُّلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِ القَوَاعِدِ مِنْهَا . فَبِفضْلِ هَذِهِ المَوَادِّ المُسَاعِدَةِ ،
تَمَكَّنَّا مِنَ الوُصُولِ إِلَى مَا تَوَصَّلْنَا إِلَيْهِ عَنْ تِلْكَ اللهِجَاتِ المُكْتُوبَةِ بِالقَلَمِ المُسْنَدِ^١ .

وَمِنْ جَمَلَةِ المَسَائِلِ الَّتِي جَعَلَتْ فَهْمَ النُّصُوصِ العَرَبِيَّةِ الجَنُوبِيَّةِ أَمْرًا صَعْبًا عَلَى
البَاحِثِ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ ، اشْتِهَارُهَا عَلَى اصْطِلَاحَاتٍ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ فِي العَرَبِيَّةِ ، وَعَلَى
كَلِمَاتٍ غَيْرِ مَوْجُودَةٍ فِي اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ الأُخْرَى ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهَا قَدْ كَتَبَ كِتَابَةً مَوْجِزَةً
صَبْرَتَهَا غَامِضَةٌ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ ، وَلِهَذَا اضْطَرَّ عُلَمَاءُ العَرَبِيَّاتِ الجَنُوبِيَّةِ إِلَى تَلْخِيصِ
مَعْنَاهَا عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيبِ^٢ .

وَمَا يُؤَسِّفُ عَلَيْهِ كَثِيرًا أَنْ كَتَبَهُ المُسْنَدُ لَمْ يَتْرَكُوا لَنَا كِتَابَةً تُشِيرُ إِلَى تَرْتِيبِ
حُرُوفِ المَهْجَاءِ عِنْدَهُمْ ، وَأَسْمَائِهَا الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِهَا عِنْدَ قَرَائِمِهِمْ وَكِتَابَتِهِمْ .
وَعَدَمُ وَصُولِ كِتَابَةِ هَذَا المَوْضُوعِ مِنْهُمْ إِلَيْنَا ، خَسَارَةٌ كَبِيرَةٌ ، إِذْ أَصْبَحَ مِنَ
الصَّعْبِ التَّحَدُّثُ عَنْ كَيْفِيَّةِ ظُهُورِ الخَطِّ بَيْنَ العَرَبِ الجَنُوبِيِّينَ وَعَنْ صَلَاتِهِ بِالخَطِّ
الأُخْرَى ، وَبِنَا أَشَدَّ الحَاجَةَ إِلَى مَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ تَوَصُّلِ الإِنْسَانِ إِلَى هَذَا الإِخْتِرَاعِ
العَظِيمِ الَّذِي غَيَّرَ تَارِيخَ البَشَرِيَّةِ وَأَحْدَثَ فِيهَا انْقِلَابًا لَا يَدْرِكُهُ المَرءُ إِلا إِذَا تَصَوَّرَ
البَشَرِيَّةَ وَهِيَ جَاهِلَةٌ لَا تَحْسُنُ قِرَاءَةَ وَلَا كِتَابَةَ ، فَالَّذِي كَانَ يُمْكِنُ أَنْ نَعْرِفَهُ
لَوْلَا وَجُودُ هَذِهِ العَلَامَاتِ الصَّغِيرَةِ المُحَدَّدَةِ الَّتِي نَسْمِيهَا حُرُوفًا وَالَّتِي نَكْتُبُ بِهَا
وَنَدُوِّنُ بِهَا كُلَّ مَا يَجُولُ فِي خَوَاطِرِنَا مِنْ آرَاءٍ دُونَ أَنْ نَعْرِفَ عَظَمَ قِيَمَةِ هَذِهِ
العَلَامَاتِ الَّتِي مَيَّزَتِ الإِنْسَانَ عَنِ الحَيَوَانَ ، وَرَفَعَتْهُ عَنْهُ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ !

وَلَوْ قَدَّرَ لِلعُلَمَاءِ الحَصُولَ عَلَى أَلوَاحٍ فِيهَا الأَبْجَدِيَّاتُ مُرتَبَةً بِحَسَبِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي
كَانَتْ تُسَمَّى عَلَيْهَا الشُّعُوبُ القَدِيمَةُ فِي تَعَلُّمِهَا ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَتْ مُقَرَّوْنَةً بِأَسْمَائِهَا
الَّتِي كَانَتْ تُعْرَفُ بِهَا ، لَصَارَ فِي وَسْعِ العُلَمَاءِ التَّوَصُّلُ إِلَى نَتِيجَةِ عِلْمِيَّةٍ مُقْبُولَةٍ

Hofner, S. 15.

١
٢ ونغنسون ، السامية (٢٤٦) .

بشأن نشأة الخط وتطوره . فإن في استطاعتهم عند ذاك الحكم - من نظرهم الى أقدم هذه الكتابات والى أصول كلمات المسميات - على أقدم مكان ظهرت فيه تلك الكتابة ، وعلى تعيين اسم الشعب الذي كان له شرف هذا الاختراع . وهو اختراع لم يظهر بالطبع فجأة الى العالم ، أي انه لم يكن من ابتكار رجل واحد فاجأ الناس به ، بل هو اختراع مرت عليه قرون حتى بلغ ما بلغه من شكل الحروف . مرت في مراحل كثيرة بدائية في بادىء الأمر ، ثم انتقل من تلك الأشكال الى أشكال أرقى منها ، حتى اهتدى عقل الانسان الى معرفة الحروف . ولم يتوصل بالطبع الى هذه المرحلة بسهولة ، إذ يقتضي ذلك وجود علم عند الانسان عن تكون الكلمات من حروف ، وهو لم يتوصل الى هذا العلم إلا بعد تعب استمر قروناً ، وبتعاون كتّاب مختلف الشعوب لتحليل كلمات الانسان الى عناصرها الأولى ، وعناصرها الأولى هي هذه الحروف .

وقد كان من الضروري وضع أسماء للحروف ، ليميز بها حرف عن حرف آخر . وقد وضع مخترعو الحروف تلك الأسماء ، وهي أسماء لا تزال البشرية تعيدها مع شيء من الاختصار والتحريف ، وقد يمكن التوصل من تلك الأسماء الى أسماء تلك الشعوب القديمة التي ساهمت وعملت في ترقية ذلك الاختراع العظيم . فإن لتلك الأسماء علاقة وصلة بمسميات مادية ، وبالامكان تشخيص مواطن تلك المسميات بالرجوع الى الأماكن التي عرفت واشتهرت بها ، ومن ثم نتوصل الى تعيين تلك الشعوب على وجه التقريب .

وتختلف أشكال حروف المسند اختلافاً كبيراً عن حروفنا المألوفة التي نكتب بها . ولما كانت هذه الحروف حروفاً منفصلة غير متصلة كما هي الحال في حروفنا، فهي لذلك في أثناء كتابة الكلمات لا تتصل ببعضها ولا يلتقي فيها حرف بحرف آخر . ولهذا السبب كان شكل الحرف في المسند لا يتبدل ولا يتغير بتغير موضعه في الكلمة ، بل يحافظ على وضعه في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها ، إلا في بعض الأحيان حين يكتبون من اليسار نحو اليمين ، فيغيرون اتجاه الحرف بأن يجعلوه نحو اليمين .

وقد يتحد حرف النون الساكن مع الحرف الذي يليه ويسقط من الكتابة، ففي كلمة (بنت) أسقط الكتّاب حرف النون من الكلمة ، واكتفوا بهذا الشكل :
(بت) أي بالحرفين الباء والتاء .^١

١ غويدي (ص ٤) .

والى القارئ أشكال حروف المسند مرتبةً على ترتيب حروف الهجاء التي نسير
عليها في زمنا :

ض	ح	ج	ب	ا
ط	ظ	ث	ث	ب
ع	غ	ع	ع	ب
ف	ق	ف	ف	ب
ك	ق	ك	ك	ب
ل	ل	ل	ل	ب
م	م	م	م	ب
ن	ن	ن	ن	ب
ه	ه	ه	ه	ب
و	و	و	و	ب
ي	ي	ي	ي	ب

: وليس لهذا الحرف مقابل في عربيتنا وهو بين السين والزاي

ولا توجد في المسند تاء قصيرة ، أي التاء التي نكتبها تاء قصيرة في أواخر
الكلم . فالتاء هي تاء طويلة أبداً ، وردت في أول الكلمة ، أو في وسطها ،
أو في آخرها ، فلفظة (سنة) تكتب (سنت) ، و (عمرة) ، اسم امرأة ،
يكتب (عمرت) ، وهكذا .



وهناك كتابات برزت حروفها ، وذلك ان كاتبها خطها على الحجر أولاً ، ثم حفر ما حولها وفي باطنها بمزبر صلد ، أو بسكين أو بآلة حادة ، فظهرت الكتابة بارزة ، وقد استخدمت مثل هذه الكتابات لتوضع على أبواب المعابد وعلى واجهات الدور وفي المناسبات التذكارية، كما فعل الاسلاميون في كتاباتهم التخليدية التي وضعوها على واجهات القصور والمساجد والأبنية المهمة، أما الكتابات المحفورة فقد استخدمت في الأعمال الاعتيادية في الغالب ، وهي أسهل في الكتابة من الكتابة البارزة ، ولا تحتاج الى وقت طويل يصرفه الكاتب على الحفر لابرز الحروف .

وأما الفاصل الذي يفصل بين الكلمات ، فهو على هذا الشكل :



ويعبر عن العدد من الواحد الى الأربعة بخطوط عمودية ، فيرمز الخط العمودي الواحد عن (الواحد) ، ويرمز الخطان العموديان المتوازيان عن الرقم (٢) ، وإذا أرادوا كتابة الرقم (٣) وضعوا ثلاثة خطوط عمودية متوازية للدلالة عليه . أما الرقم (٤) ، فيمثل بأربعة خطوط عمودية متوازية . وأما الرقم (٥) فيرمز عنه بالحرف (خ) الذي هو الحرف الأول من كلمة (خمس) . وإذا أرادوا الإشارة الى الرقم (٦) وضعوا خطأ عمودياً على الجانب الأيسر لحرف (الخاء) الذي يرمز عن الخمسة ، ومن هذا الحرف والخط العمودي الكائن مكانه في موضع العشرات بالقياس الى حسابنا يتكوّن الرقم (٦) . وإذا أرادوا الرقم (٧) وضعوا خطين عموديين على الجانب الأيسر للحرف خمسة ، فيعبر هذا المجموع المكون من الخاء ومن الخطين العموديين المستقيمين عن الرقم (٧) . وإذا أرادوا الرقم (٨) ، وضعوا على الجانب الأيسر من الحرف خاء ثلاثة خطوط تشير الى الرقم (٣) ، فيتكون بذلك من حرف الخاء الذي يرمز عن الخمسة ومن الثلاثة، المجموع ثمانية ، وهو الرقم المطلوب . أما الرقم (٩) ، فيتكون من مجموع رقم (٥) الذي يرمز عنه الخاء ومن الرقم (٤) الذي تمثله خطوط عمودية أربعة . وأما الرقم عشرة ، فيرمز عنه بحرف العين الذي يمثل الحرف الأول من كلمة عشرة . وأما الرقم (١٠٠) فيرمز عنه بالحرف الأول من الكلمة مئة ، أي بحرف الميم . وأما الرقم (١٠٠٠) فرمز عنه بالحرف ألف ، أي بالحرف الأول من الكلمة أيضاً، فيلاحظ

من هنا أن العرب الجنوبيين استعملوا الحروف الأولى من أسماء بعض الأرقام عوضاً عن الأرقام نفسها، ولم يتبعوا الطرق التي نتبعها اليوم في كتابة أمثال هذه الأعداد .

والظاهر ان استعمالهم حرف الخاء مقام العدد (٥) ، جعلهم يحارون بعض الحيرة في التعبير عن العدد (٥٠) الذي يبدأ مثل العدد (٥) بحرف الخاء ، فتخصيص هذا الحرف بالعدد (٥) جعل من غير الممكن تخصيصه بالعدد (٥٠) كذلك . ولما كان من الصعب كتابة الـ (٥) عشر مرات للتعبير عن العدد (٥٠) الذي هو حاصل جمع عشر خمسات خاصة لأن هذا العدد يتضاعف ويتكرر ، فكروا في حل آخر يحل لهم هذه المشكلة . مشكلة إيجاد حرف أو علامة ترمز عن الرقم (٥٠) . وقد وجدوا ذلك الحل من حقيقة العدد (٥٠) الرياضية . فالعدد (٥٠) هو نصف الـ (١٠٠) كما هو معلوم . ولما كان حرف الميم يرمز عن المئة ، والمئة هي حاصل جمع خمسين مع خمسين ، فيكون حرف الميم هو حاصل جمع خمسين مع خمسين . ولما كان حرف الميم في المسند هو على شكل خط عمودي يرتكز عليه مثلثان قاعدتهما ملتصقة على ذلك العمود ، فإن كل مثلث من ذينك المثلثين يعبر في الواقع عن الرقم (٥٠) ، فهدهم تفكيرهم هذا الى رفع المثلث الأسفل ليبقى مثلث واحد هو المثلث الأعلى مرتكراً على الخط العمودي ، ليعبر عن قيمته المتبقية وهي خمسون ، وصار هذا الرمز الذي هو نصف حرف الميم رمزاً عندهم للعدد (٥٠) . وبذلك أوجدوا لهم حلاً لتلك المشكلة التي لا بد أنها شغلت بال كتابهم مدة من الزمن .

وأما الأعداد التي تلي العشرة فيبدأ بها بحرف العين أولاً ومعناه عشرة ، ثم تليه بقية الزيادة أي مقدار زيادة ذلك العدد عن العشرة. فإذا أرادوا الرقم (١١) مثلاً بدأوا بحرف العين ، ثم وضعوا بعده أي على يساره خطأ عمودياً واحداً بمعنى واحد ، ويكون المجموع أحد عشر . أما إذا أرادوا الرقم (١٢) ، فإنهم يضعون مستقيمين عموديين على يسار حرف العين ليدل ذلك على عشرة زائد اثنين وهو اثنا عشر . وإذا أرادوا (١٣) وضعوا ثلاثة خطوط عمودية مستقيمة لتدل عليه . أما إذا أرادوا (١٤) فإنهم يضعون أربعة خطوط عمودية ، ليكون مجموعها مع العشرة أربعة عشر . أما إذا أرادوا (١٥) ، فإنهم يكتبون حرف العين ثم يضعون من بعده وعلى جهة يساره حرف الخاء الذي هو بمعنى خمسة . وإذا أرادوا (١٦) وضعوا بعد حرف العين ما يرمز عن الستة ، وهكذا بقية الأعداد

الى العدد (١٩) . أما العدد (٢٠) فإنهم يكتنون عنه بكتابة حرف العين مرتين ، ومعنى ذلك عشرة مضافاً إليها عدد عشرة والجمع عشرون. وإذا أرادوا الرقم (٢١) كتبوا حرف العين مرتين ليرمز عن العشرين ثم وضعوا خطأ عمودياً واحداً على جهة يساره ليرمز عن الرقم (١) ، فيكون المجموع عشرين وواحداً ، وهكذا يكتبون بقية الأعداد ابتداء بالعشرين أي بحرفي العين مضافاً العدد المقصود حتى الرقم (٣٠) فيضعون له ثلاثة أحرف من حرف العين . أما الـ (٤٠) فيضعون له أربعة أحرف من حرف العين ، ثم يستمرون على طريقتهم في العدد بعد الأربعين على الطريقة المألوفة في الابتداء بالعدد العشرات ، ثم كتابة الرقم المقصود الذي هو دون العشرة من بعده الى الرقم التاسع والأربعين . فإذا أرادوا الرقم (٥٠) وضعوا الرمز الخاص الذي تحدث عنه ، وهو نصف حرف الميم . أما الرقم (٦٠) فيرمز عنه بهذا الرمز ، أي نصف حرف الميم مضافاً اليه الحرف عين رمز العشرة ليشير الى مجموع العددين وهو ستون . أما الرقم (٧٠) فيتكون من هذا الرمز مضافاً اليه حرفان للعين . وأما الرقم (٨٠) فيكون بإضافة ثلاثة أحرف عين على الجهة اليسرى للرقم (٥٠) . وأما الرقم (٩٠) فيتكون من رمز (٥٠) مع إضافة أربعة أحرف عين اليه .

وتكتب الأرقام ما بعد المئة الى الألف على الترتيب الآتي : يكتب الحرف رمز المئة في الأول ، ثم يوضع الرقم الذي يلي المئة على جهة يساره على النحو الذي شرحته الى حد الرقم (١٩٩) فإذا أرادوا كتابة (٢٠٠) كتبوا حرفي ميم ، وإذا أرادوا (٣٠٠) وضعوا ثلاثة أحرف من حروف الميم ، وإذا أرادوا (٤٠٠) وضعوا أربعة أحرف من حروف الميم ، وإذا أرادوا (٥٠٠) وضعوا خمسة أحرف من حروف الميم، وهكذا تزداد كتابة الميم بزيادة عدد المئات حتى تصل الى تسع، ويكون الرقم عندئذ تسع مئة . أما الألف، فيرمز عنه بحرف الألف كما ذكرت . وطريقة التعبير عن الأعداد في حالة الآحاد وفي العشرات وفي المئات هي طريقة واضحة مفهومة بعض الفهم كما رأينا ، إذ عبر عن الأرقام من واحد الى أربعة بخطوط مستقيمة ، وعبر عن الخمسة بحرف الخاء تزداد عليه خطوط بزيادة الأرقام المطلوبة، حتى تصل الى الرقم (١٠) ، فيعبر عنه بحرف عين . وفي باب العشرات يقدم حرف العين الذي هو عشرة على الأرقام المقصودة التي هي دون العشرة ، وتتبع هذه الطريقة الى المئة . أما في حالة المئات الى الألف فيبتدئ العدد بالمئات،

ثم تليه العشرات ، فالآحاد ، فهو في نفس المبدأ الذي وضعه علماء الرياضيات عندهم للعشرات ، أي على قاعدة تفضيل العدد الأكبر من ناحية العدّ على العدد الأصغر ، فقدموا العشرات على الآحاد ، وقدموا المئات على العشرات ، ثم الآحاد . أما في حالة الأعداد الالوف ، فلم يتقيد كتاب حسابهم بهذه القاعدة ، بل ساروا على طرق أخرى ، فكتبوا حروف الالف بعد الأعداد الالوف التي أرادوا كتابتها . فللتعبير عن ألفين وضعوا حرفي ألف ، وهما مجموع ألف مع ألف أخرى، وللتعبير عن ثلاثة آلاف وضعوا ثلاثة أحرف ألف ، وهكذا ساروا في كتابة بقية الأعداد الآلاف . غير أنهم ساروا على طريقة أخرى في كتابة العدد ستة عشر ألفاً مثلاً . فوضعوا ستة أحرف ألف ، ووضعوا الى الجانب الأيسر من الحرف الألف الأخير الحرف عين رمز العشرة ، وقد رمزت العشرة هنا عن العدد (١٠٠٠٠) ، ورمزت الحروف الستة عن (٦٠٠٠) ، ومن مجموع الستة آلاف والعشرة آلاف يتكون العدد (١٦٠٠٠) . وفي كتابة العدد (٣١٠٠٠) كتبوا حرفاً واحداً من حروف الألف ليدل على الرقم ألف ، ووضعوا على الجهة اليسرى منه ثلاثة أحرف عين وتعني ثلاثين ألفاً . ومن الألف والثلاثين ألفاً يتكون العدد (٣١٠٠٠) . أما في حالة كتابة الرقم (٤٠٠٠٠) ، فقد اكتفوا بكتابة أربعة أحرف من حروف العين ، مع أن هذه الأحرف تعني مجموع أربع عشرات ، أي أربعين ، بينما أرادوا بهذه الأحرف العدد (٤٠٠٠٠) في هذا الموضع . أما في رقم مثل (٤٥٠٠٠) ، فقد كتبوا خمسة أحرف من حروف الألف أولاً ، ثم وضعوا أربعة أحرف من العين في أيسر آخر ألف ، والمجموع هو خمسة آلاف وأربعون ألفاً . وفي الرقم (٦٣٠٠٠) وضعوا ثلاثة أحرف من (الألف) لتعني ثلاثة آلاف ، ووضعوا نصف حرف ميم وهو رمز الخمسين ، وفي أيسره حرف العين رمز العشرة ، وبذلك عبروا عن الستين . ولورود هذا الرقم بعد عدد آلاف قصدوا به ستين ألفاً . ومن مجموع ثلاثة آلاف والستين ألفاً ، يتكون العدد ثلاثة وستون ألفاً . وقد اكتفوا في كتابة الرقم (١٥٠٠٠٠) بكتابة الرمز الخمسين وهو نصف حرف ميم ، ووضعوا الى الأيسر منه حرف ميم رمز المئة ، وقصدوا بذلك خمسين ومئة ألف . ولو كانوا قد كتبوا حرف الميم أولاً ، ثم وضعوا نصف حرف الميم الى يساره ، لكان حاصل جمع العددين خمسين ومئة . وبتقديم نصف حرف الميم وبتغيير اتجاهه مثلثي حرف الميم ومثلث نصف حرف الميم نحو اليمين ،

عبروا عن الرقم (١٥٠٠٠٠) . أما في كتابتهم الرقم ٢٠٠٠٠٠ ، فقد كتبوا ميمين ، وقد عبر كل ميم في هذا الموضع عن مئة ألف .

ويرى بعض المتخصصين بقراءة النصوص العربية الجنوبية ان كتاب المسند لم يتركوا كتابة حروف الألف التي تشير الى الأعداد الآلاف إلا إذا كان العدد مدوراً ، وآلأفاً خالية من الأرقام الآحاد ، كما رأينا في الرقم (٤٠٠٠٠) ، و (١٥٠٠٠٠) ، و (٢٠٠٠٠٠)^١ .

وقد سار كتاب المسند على قاعدة كتابة الرقم افضلاً ، أي كتابة مقداره بالكلمات ، وتدوين المقدار المكتوب بعد الرقم ، وقد حملهم على اتباع هذه الطريقة خوفهم من الوقوع في الخطأ في قراءة الأرقام والرموز التي خصصوها بالأرقام ، كما انهم اصطلمحوا على رسم مستطيل تتخلله خطوط تجعله على هيئة شبك تقريباً ، يوضع في أيمن الرقم ، أي قبل ابتدائه ، ومستطيل آخر يوضع في يسراه أي في نهاية الرقم تماماً للدلالة على ان ما هو مكتوب بين هذين الرقين هو عدد ، وبذلك تسهل قراءته .

ولم يصل اليها ان كتاب المسند استخدموا علامات خاصة بكسور الأعداد ، كالأنصاف أو الأرباع أو الأثلاث أو الأخماس أو ما شاكل ذلك ، او انهم استعملوا علامات خاصة للجمع او الطرح او القسمة او الضرب او علامات للتربيع او للجذور وأمثال ذلك من العلامات المستعملة في علوم الرياضيات . وقد عبروا عن كسور الأعداد بذكر ألقاظها . واذا لم تصل اليها كتابات في موضوعات رياضية ، فلا نستطيع ان نجزم في موضوع أمثال هذه العلامات عند العرب الجنوبيين . فعمل الأيام تكشف لنا عن كتابات رياضية ترينا ان رياضيي العرب الجنوبيين كانوا أرقى كمبراً مما نظن الآن .

وللوقوف على صور الأعداد عند العرب الجنوبيين أدون نماذج من الأرقام ، مقرونة بما يقابلها من الأرقام التي نستعملها عندنا في الحساب :

00 = 0	1 = 1
100 = 1	11 = 2
1100 = 2	111 = 3
11100 = 3	1111 = 4
111100 = 4	11111 = 5
1111100 = 5	111111 = 6
11111100 = 6	1111111 = 7
111111100 = 7	11111111 = 8
1111111100 = 8	111111111 = 9
11111111100 = 9	0 = 10
000 = 10	10 = 11
0000 = 11	110 = 12
00000 = 12	1110 = 13
0 = 13	11110 = 14
00 = 14	111110 = 15
000 = 15	1111110 = 16
0000 = 16	11111110 = 17
00000 = 17	111111110 = 18
000000 = 18	1111111110 = 19
0000000 = 19	

وأما الفواصل التي تشير إلى الأرقام وتوضع في أول الرقم وعند انتهاءه، فهي على هذا الشكل :



ومادة الكتابة عند العرب الجنوبيين ، هي الحجارة والصخر والخشب والمعادن ، يكتبون عليها بالحفر ، ولم أسمع أن أحداً من الآثاريين حتى الآن عثر على كتابات بالمسند مدونة بالحبر على القراطيس والجلود والرق أو على ورق البردي على نحو ما كان يفعله المصريون وغيرهم . والظاهر أنهم لم يكونوا يتبعون طريقة كتاب بابل في الكتابة على ألواح الطين التي تجف بعد ذلك بالشمس أو بالنار ، فتكون كتابة ثابتة مدونة على مادة صلبة ، لأن الباحثين لم يعثروا على كتابات بالمسند مدونة على هذه الطريقة .

غير أن عدم وصول كتابات بالمسند مدونة على القراطيس أو الجلود ، لا يعني أن العرب الجنوبيين لم يكونوا يعرفون الكتابة عليها وعلى مواد مشابهة لها ، إذ لا يعقل عدم وقوف العرب الجنوبيين على استعمال الجلود والقراطيس وعظام الحيوانات مادة للكتابة ، وقد كان استعمالها في العالم يومئذ شائعاً معروفاً . ومردُّ السبب في عدم وصول شيء من الكتابات المدونة على تلك المواد ، إلى قابلية هذه المواد للتلف ، وحاجتها إلى العناية الشديدة ، بدليل عدم وصول شيء ما من الكتابات المدونة على الجلود وعلى جريد النخل وعلى اللخاف والعظام والقراطيس من صدر الإسلام ومن أيام الرسول خاصة مع أهميتها وقداستها . وليس في استطاعة أحد أن ينكر أن القرآن الكريم قد كتب على هذه المواد المذكورة ، وأن الرسول قد أمر فكتبت له عدة كتب وعقود ومواثيق ، ولكن بادت أصولها .

والبحث في أصل المسند مثله في أصل الخط ، ما زال موضع جدل بين العلماء الباحثين في العربيات الجنوبية . فمنهم من يرجع أصله إلى الخط الفينيقي ، ومنهم من يرجعه إلى كتابات سيناء حيث عثر فيها على كتابات قديمة جداً يعدها الباحثون أقدم عهداً من الكتابات العربية الجنوبية ، وقد وجد بين بعض حروف هذه الكتابات وحروف المسند شبه جعلهم يذهبون إلى اشتقاق المسند من خطوط سيناء^١.

Driver, Semitic writing from Pictograph to Alphabet, London, 1954, pp. 123.

ومنهم من يذهب الى اشتقاق المسند من الخط الكنعاني، للتشابه بين بعض حروف الخطين . وللتوصل الى معرفة منشأ الخط المسند ، لا بد من تعيين تأريخ لأقدم كتابة مدونة بالمسند ، ولم يتفق العلماء على تأريخ ثابت معين . انما رجع بعضهم تأريخ أقدم الكتابات الى سنة ١٥٠٠ أو ١٣٠٠ قبل الميلاد ، على حين لم يرتفع آخرون بتأريخ أقدم كتابة عثر عليها بالمسند الى أكثر من ٧٠٠ أو ٨٠٠ قبل الميلاد . ولضبط هذا التأريخ أهمية جد عظيمة في البحث عن أصل منشأ ذلك الخط . ثم انه لا بد في تعيين أصل الخط المسند من النص على أسماء الحروف نصاً ليس في أمره شك ، ثم لا بد أيضاً من النص على نظام ترتيب حروف المسند عند العرب الجنوبيين . وكل هذه الأمور غير متفق عليها ، واذن فليس من الممكن في مثل هذه الظروف التوصل الى حل علمي يوافق عليه جميع الباحثين في العرييات الجنوبية .

وإذا كان أغلب الكتابات في موضوع واحد ، هو التقرب الى الآلهة بهدايا وبنذور ، كان أسلوبها يكاد يكون واحداً ، فهي تبدأ عادة باسم المهدي أو بأسماء المهدين ، ثم يعقب ذلك فعل يشير الى التقديم مثل استعمال فعل قدم أو أهدى وما شاكل ذلك من أفعال مناسبة ، ثم اسم الإله أو أسماء الآلهة التي قدمت لها الهدايا ، يليها بيان السبب الذي من أجله قدمت ، مثل شفاء من مرض أو وفاء لنذر ، أو طلباً من الإله أو الآلهة ان تطيل عمر المهدي ، أو تشفيه من مرضه ، أو لتحل له مشكلاً وقع فيه أو مشكلات تحيط به .

القلم اللحياني :

ومن القلم المسند اشتق القلم اللحياني ، والقلم الشمودي ، والقلم الصفوي، وذلك لأن القلم المسند متقدم في الوجود على هذه الأقلام ، فلا يمكن أن يكون قد أخذ منها . ثم إن المناطق التي وجدت فيها الكتابات اللحيانية والكتابات الشمودية ، كانت في حكم المعينين والسبيين ، بدليل عثور العلماء على كتابات معينة فيها . وهذه الكتابات أقدم عهداً من الكتابات اللحيانية والشمودية ، ولذلك ذهب الباحثون في اللحيانيات والشموديات الى اشتقاق خطها من الخط المسند .

ولم ينقل أهل أعالي الحجاز القلم المسند نقلاً تاماً ، بل عدلوا بعض حروفه

وغيروا فيها بعض التغيير ، فظهر من ذلك القلم اللحياني والقلم الشمودي ، غير أننا نجد أن كتابات القلم اللحياني تختلف بعض الاختلاف . وقد قسمها (ورنر كاسكل) الى نوعين : كتابات لحيانية متقدمة ، وكتابات لحيانية متأخرة . وقد بني تقسيمه هذا على أساس قدم الكتابات وتأخرها في التاريخ . والواقع أننا نجد الكتاب قد تحرروا في كتابة حروفهم في جميع العهود ، في العهد المتقدم وفي العهد المتأخر ، بحيث لم يتركوا لنا مجالاً للأخذ بهذا التقسيم . فنراهم وقد كتبوا بعض الحروف بأوضاع قد تزيد على الخمسة . غير أننا إذا ما تصفحنا هذه الحروف المختلفة الأشكال ، لا نجد لها تختلف اختلافاً بيناً ، وإنما يرجع هذا الاختلاف في الواقع الى ضعف وقوة يد الكاتب الذي حفر تلك الكتابات على الحجارة أو الخشب أو المواد الأخرى التي حفر الكتابة فيها . فنهم من كان قوياً في حفره للحروف ، ومنهم من كان ضعيفاً ، فبان هذا الاختلاف في هيئات رسم الحروف . ومن هنا أرى ان اختلاف صور الحروف ، لا يدل حتماً على تطور الخط ، بقدر ما يدل على مهارة أو ضعف الكاتب في الكتابة .

والقلم اللحياني مثل المسند خال من الشكل ، ونخال من الرموز أو الحروف التي تشير الى المدّ أو التشديد أو الإشباع أو الإشمام أو الإمالة وما شابه ذلك . وقد أوجد هذا النقص لقراء الكتابات اللحيانية مشكلات كثيرة في فهمها وفي ضبط الكلمات والأسماء فيها . فلفظة (زد) مثلاً المكتوبة بحرفين ، قد تقرأ على أشكال مختلفة ، قد تقرأ (زَد) و (زِد) و (زُد) و (زاد) و (زيْد) و (زود) ، الى غير ذلك من أشكال . وهي قد تكون اسماً ، كما قد تكون فعلاً أو مصدرأ ، وعلى القارئ استخراج نوعها من موقعها في الجملة ومن مقتضى الحال . ومثل ذلك عن (شم) التي تعني (شيم) اسم رجل ، و (كتب) بمعنى (كاتب) اسم رجل أيضاً ، مع أن للكلمة عدة معانٍ يفهمها الانسان من موقع اللفظة في النص .

ولم يتقيد كتاب الكتابات اللحيانية تقيداً تاماً بكتابة الفواصل العمودية التي تستعمل للفصل بين الكتابات ، كما تقيد بها كتاب المسند . غير أنهم لم يسيروا في كتاباتهم على وتيرة واحدة ، فنراهم يخالفونها أحياناً فيفصلون الألفاظ بفواصل . وقد رفعت الفواصل عن الألفاظ المؤلفة من مقطع واحد ، مثل مع ، وكتبت مع اللفظة التي تليها . أما إذا اجتمعت لفظتان ، كل واحدة منها ذات مقطع

واحد مثل (و) حرف عطف و (ل) فالكتاب يكتبونها على طريقة كتاب المسند أي ممزوجتين ، على هذا الشكل : (ول) .

وتجد في هذه الصورة كتابة لحيانية متأخرة ، يظهر منها وكأن صاحبها قد كتبها على عجل ، فالخط فيها سريع ضعيف يسدل على عجلة ، والحروف غير واضحة ، وقد كتبت بطريقة الحفر بقلم من حديد أو سكين أو آلة حادة أخرى على الحجر ، حفرأ سريعاً ، كما نكتب بسرعة في القلم . ومن هنا يختلف القلم اللحياني عن القلم المسند ، يختلف عنه في عدم تمسك كتابه بكتابة الحروف بصورة واضحة بينة وبخط قوي واضح يقرأ بسهولة . ولعل لموقع اللحيانيين ولموقع من كتب مثلهم بسرعة وبغير نظام ثابت وتقيد بهندسة الحروف وأشكالها ، فيما بسين الأبجديات الشمالية ، والأبجدية العربية الجنوبية أثراً في هذا التغير ، إذ نكاد نلمس من قراءتنا لهذه الخطوط أنها تحاول الهروب من نظام المسند ، المستند على الشكل الهندسي المرتب للحروف ، الذي يفصل بين الحروف ، والذي يحتاج الكاتب فيه الى التأني في كتابة الحرف ، فيضيع بعض الوقت بسبب ذلك ، كما يحتاج الى إشغال مكان واسع للحروف . بينما نرى الأبجديات الشمالية تقلص من حجم حروفها وتحاول جهد إمكانها ربطها بعضها ببعض اختصاراً في الوقت وفي المكان وفي الجهد . وحروف هذه الأبجديات وإن بقيت محافظة على استقلالها وعلى أشكالها الدالة على أنها من نبت المسند، إلا أنها اتخذت صوراً متعددة، كما أنها لم تقيد بما تقيد به المسند في نظامه من السير على طريقة السطور ، وهو نظام يسهل على القارئ قراءة الكتابة من اليمين الى اليسار ، أو من اليسار نحو اليمين ، أو بطريقة (حلزونية) ، بل خرجت على هذا النظام ، ولا سيما في حالة الكتابات الشمودية والصفوية ، فكتبت بصور غير منتظمة ، على صورة هلال ، أو كرة ، أو نسج العنكبوت ، مما جعل من الصعب على القارئ فهم الكتابة ، ويظهر ان ذلك انما وقع بسبب ان الكتبة كانوا من الرعاة أو الفلاحين ، وان الكتابات التي عثر عليها هي من

كتاباتهم ، وقد كتبوها تعبيراً عن خااطر عنّ لهم ، فهي لا تمثل اذن كتابات رسمية أو كتابات جماعة من المثقفين الذين يعتنون بحسن الخط ، وانما هي خواطر دونت على أي حجر وجدّه الكاتب ، ودوتها بالشكل الذي وجدّه يناسب ذلك الحجر .

وهذه الكتابة التي تراها في هذه الصورة هي كتابة محفورة على لوح من الحجر، وهي من الكتابات اللحيانية المتأخرة ، المحافظة على نظام السطور . وخطها وإن كان ضعيفاً غير أنه واضح نوعاً ما ونجد الشبه كبيراً بينه وبين المسند .



كتابة لحيانية متأخرة: (من كتاب: Caskel, Nr. 2)



أما هذه الصورة ، فتمثل كتابة
لحيانية قديمة ، وقد تفنن في كتابتها
كاتبها ، وحفر الحروف فيها حفرأ
جعلها بارزة ، وقد حافظ فيها على
نظام السطور . ونرى الشبه بين
أشكال هذه الحروف وأشكال المسند
بيناً ، إذ لم تكن الكتابات اللحيانية
القديمة قد ابتعدت بعد بعدأ كبيرأ
عن الخط العربي الجنوبي .

كتابة لحيانية قديمة

من كتب : 1 : Caskel, Nr. 1

الخط الثمودي :

والخط الثمودي مثل الخط المسند والخط اللحياني والخط الصفوي ، خال من الشكل ومن التشديد ومن الإشباع ومن علامات للحركات تكتب مع الحروف في صلب الكلمة . ولهذا يلاقي قارئه من الصعوبات ما يلاقيه قارئ القلم المسند والقلم اللحياني . فكلمة (بت) يمكن أن تقرأ بأوجه متعددة كأن تقرأ (بات) فعلاً ماضياً ، و (بيت) اسماً . ولفظة (عف) ، تكتب بهذه الصورة ، ويقصد بها (عوف) إن كتبت مع الأسماء . ولفظة (زد) هي (زيد) ، ولفظة (تم) هي (تيم) ، ولفظة (منت) هي (مناة) ، وقد يراد بها (منيت) ، أي المنية . وجملة (قنص اسد) تحتمل أن تكون على هذا النحو : (قنص أسد) ، وقنص اسم رجل ، وهو مبتدأ خبره (أسد) . ويحتمل أن تكون على هذه الصورة : (قنص أسداً) فتكون جملة فعلية (قنص) فيها فعل ماضٍ ، والفاعل مستتر تقديره هو ، وأسداً مفعول به .

غير أن بعض الكتابات قد استعملت حروف العلة : الواو والألف والياء ، في بعض الأحيان لسد النقص الحاصل من عدم وجود الحركات ، كما في (نور) ، و (اموت) (أموت) حيث قامت (الواو) بأداء واجب الـ (او) (ü) وكما في لفظة (دين) ، وعظيم ، حيث قامت الياء بأداء الحركة (إي) (i) (ي) ، وكما في (موت) (بيت) و (عليت) بمعنى كنت معتلاً ، و (رضو) اسم (الإله) ، و (مو) بمعنى ماء ، و (لي) بمعنى (لي) ، و (ذي) بمعنى (هذا) ، و (اتا) بمعنى (أتى) ، وأمثال ذلك . غير أن هذا الاستعمال لم يكن عاماً ، وإنما كان خاصاً يرد في بعض الكتابات . ونجد هذه الكلمات التي ذكرتها ، خالية من الحروف المذكورة ، في نصوص أخرى ، مما يدل على أن هذه حالات كتابية خاصة ، ولم تكن قاعدة عامة متبعة في كل الكتابات .

ومن مميزات القلم الثمودي أنه لم يتقيد باستعمال الخطوط العمودية للفصل بين الكلمات ، ولهذا نجد الحروف والكلمات متصلة بعضها ببعض في كثير من الكتابات لا يفصل فاصل بينها . وقلما نجدها تستعمل بعض العلامات مثل النقط أو الخطوط الصغيرة لتحديد الجمل . ثم إنه أطلق لنفسه العنان في اتباع الجهة التي يسير عليها

الخط ، فتراه تارةً يسير سيرنا في الخط، أي من اليمين الى اليسار وباتجاه أفقي، وتارة أخرى يتجه من اليسار الى اليمين . وأحياناً من أعلى الى أسفل، ومن أسفل الى أعلى في أحيان أخرى ، كما تراه يتخذ شكل قوس في بعض الأحيان ، أو أشكالاً أخرى ، كأن يمزج بين هذه الطرق بحسب رغبة الكاتب وشكل المسادة التي يكتب عليها . وعلى قارئ النص لذلك الانتباه الى هذه الاتجاهات ، لمعرفة مبدأ الكلام من متنها .

ونجد بعض الكتابات الشمودية ، وكأنها رموز أو طغراء ؛ إذ نجد حروفها وقد تداخل بعضها في بعض ، أو بعض حروف منها وقد تشابكت بحيث يصعب على القارئ حلها . وقد ذهب بعض الباحثين الى أنها نوع من (الوسم) ، غير أن من المهتمين بالشموديات من لا يوافقونهم على هذا الرأي ، وإنما يرون أنها تمثل رموزاً دينية ، أو الأحرف الأولى من أسماء كاتبيها ، أو أسماء بعض الآلهة ، أو ما شاكل ذلك مما كان له معنى معروف في نفوس أصحابه ، وقد خفي ذلك علينا ، لعدم وجود مفاتيح لدينا تحل لنا هذه الكتابات المتخذة طابع الرموز والإشارات .

ونجد الكتابات الشمودية تعاف بعض حروف الكلمات أحياناً وتختزلها ، كما في (ب) ، التي تعني (ابن) ، فقد تركت حرف النون واكتفت بالباء . ويستطيع القارئ ادراك معنى (ب) من القراءة . وكما في (ل) بمعنى (لنا) و (لي) ، و (ب) بمعنى (بي) ، أي انها تقطع الضمير اللاحق بحرف الجر في بعض الأحيان .

الأبجدية الصفوية :

والأبجدية الصفوية مثل الأبجدية اللحيانية والأبجدية الشمودية ، أصلها من القلم العربي الجنوبي . وهي تتألف من ثمانية وعشرين حرفاً ، غير ان كتاب هذا القلم قد تلاعبوا به كما تلاعب كتاب القلم اللحياني والشمودي بحروف المسند ، وأوجدوا لهم منها أشكالاً أخرى ميزتها عن الأصل ، فأخذ الحرف الواحد أشكالاً

متعددة ، تباعد أشكال بعضها تباعداً كثيراً عن الأصل ، حتى عسرت على القارئ قراءة النص ، وهذا مما أوجد مشاكل لقراء هذه النصوص في قراءتها قراءة صحيحة .

و (هاليقي) الذي هو أول من تمكن من تشخيص الأبجدية الصفوية ، وأول من سماها بهذه التسمية ، لم يتوفق في الواقع إلا في معرفة (١٦) حرفاً من الحروف الثمانية والعشرين التي تتكون منها الأبجدية الصفوية . أما الحروف الباقية ، فقد أخطأ في تشخيصها ، حتى جاء (بريتوريوس) فتمكن من تشخيص خمسة أحرف أخرى ، كما تمكن الأستاذ (ليتمان) من تشخيص هوية سبعة أحرف ، فأكمل العدد ثمانية وعشرين حرفاً^١ .

ومن الصعوبات التي تعترض قارئ الكتابات الصفوية في قراءة هذه الكتابات وفي فهمها أن للحروف فيها كما قلت آنفاً جملة رسوم ، وإن بعض رسوم الحرف الواحد هي رسوم لحرف آخر . فبعض صور الباء هي أيضاً صور للظاء ، ولهذا قد تقرأ (باء) ، كما تقرأ (ظاء) . ويتشابه كذلك رسم الخاء مع التاء ، واللام مع النون ، والهاء مع الصاد ، وكذلك رسوم حروف أخرى ، فكانت من هذا كله صعوبات كبيرة تعترض الباحث في قراءة هذه النصوص وفي تثبيت معناها ، ولا سيما إن هذه الأبجدية هي كالأبجديات الأخرى خالية من الشكل ومن التشديد ومن حروف العلة في أكثر الأحيان ومن المقاطع ، فلا فرق فيها في الكتابة بين الفعل والاسم والفاعل والمفعول به ، وفيها مصطلحات وتراكيب نحوية غير معروفة في عربيتنا أو في اللهجات السامية الأخرى . وعلى الباحث لإعمال ذكائه في كشف المعاني ومواقع الكلم في هذه النصوص .

وهناك صعوبة أخرى تعترض الباحث في قراءة النصوص الصفوية تكمن في عدم وجود قاعدة معينة للابتداء في الخط . فالكتاب بهذا القلم حر كما يظهر من

Semitisk, Dritter Band, Zweiter und Dritter Abschnitt, 1945, S. 213. ١

ريته ديسو ، العرب في سوريا قبل الإسلام (ص ٦٥ وما بعدها) ، (تعريب عبد الحميد الدواخلي) .

الكتابات في اختيار الجهة التي يبدأ بها في الكتابة ، فله أن يبدأ بكتابه من اليمين الى اليسار ، أي على نحو ما فعله نحن في كتابتنا وعلى نحو ما فعله أكثر كتّاب المسند ، وله أن يكتب من اليسار الى اليمين ، أي على نحو ما فعله الكاتبون بالأبجدية اللاتينية ، وله ان يمزج بين الطريقتين كما رأينا ذلك في بعض كتابات المسند ، كما ان له أن يبدأ بالكتابة من أعلى الى أسفل ، وله أن يعكس الوضع فيكتب من أسفل الى أعلى ، وله أن يبدأ بالكتابة من أيسر الجهة السفلى للحجر ويتجه الى اليمين ، ثم الى اليسار وفي أي اتجاه أحب واشتهى ، وله أن يختار العكس ، أو أية جهة شاء ، حتى انك لترى بعض الكتابات وكأنها خيوط متداخلة ، وعلى القارئ ان ينفق جهداً طويلاً في استخراج رأس الخيط واستلاله للوصول الى متناه .

والكتابات الصفوية مثل الكتابات الثمودية والحيانية هي في أمور شخصية، فهي إما في بيان ملكية شيء ، أو في تعيين قبر أي كتابات قبورية ، أو في رجاء وتوسل الى الآلهة . وإما تسجيل خاطر ، مثل تذكر أهل أو صديق أو حبيبة أو نزول في مكان أو في تعليق على كتابة قديمة . وكتابات مثل هذه تكون قصيرة في الغالب ، وقد تكون من كلمة واحدة في بعض الأحيان . ولما كان معظمها في هذه الأمور ، صارت أساليبها في الإنشاء متشابهة ، لا تختلف أحياناً إلا في أسماء أصحابها . وهي لذلك لا تفيدنا كثيراً من ناحية الدراسات اللغوية ، غير أنها مع ذلك أفادتنا فائدة كبيرة في نواحي أخرى ، من مثل الكشف عن أسماء آلهة العرب الجاهليين، أو أسماء القبائل والأشخاص والنبات والحيوان وبعض العادات وغير ذلك مما يتصل بحياة العرب قبل الإسلام .

والصفوية مثل اللهجات العربية الأخرى في خلوتها من الشكل ، لذلك تجابه الباحث في قراءة كتاباتها ما يجابه قارئ اللهجات الأخرى من مشكلات في فهم الكتابات فهماً صحيحاً واضحاً، فلا بدّ من الاستعانة بعربية القرآن الكريم وباللهجات السامية لفهمها فهماً صحيحاً . ولم يحفل الكتاب بتثبيت الحروف في صلب الكتابة باعتبارها تعبيراً عن الحركات ، ولم يستعملوا المقاطع المعبرة عن الأصوات، لضبط النطق . وقد يكتب فيها الحرف مرتين في مواضع نستعمل لها الشدّة في عربيتنا : ومادة الكتابات الصفوية ، هي الحجارة الطبيعية بأشكالها المختلفة ، يأخذها الكاتب فيحفر عليها بآلة ذات رأس حاد الكلمات التي يريد تدوينها . أما الورق أو المواد المشابهة الأخرى المستعملة في الكتابة ، فلم يعثر على شيء منها مكتوب بهذه الأبجدية .

ويجب ان أبين ان هذه الكتابات اللحيانية والثمودية ، والصفوية ، لا تعني انها خطوط (بني لحيان) ، و (قوم ثمود) بالضرورة ، فبين الكتابات المنسوبة الى مجموعة من هاتين المجموعتين ما لا يمكن عده من كتابة قوم من (بني لحيان) ولا من قوم ثمود ، وإنما هي من كتابات قبائل أخرى ، وقد أدخلت في الخط اللياني او في القلم الثمودي ، لمجرد تشابه الخط . وقد ذكرت ان الكتابة الصفوية ، انما عرفت بهذه التسمية ، بسبب عثور العلماء عليها في (الصفاء) في الغالب ، فنسبوها الى هذه الأرض ، مع انها قبائل وعشائر مختلفة . ويلاحظ ان التباين في أشكال الحروف داخل المجموعة الواحدة مثل اللحيانية، والثمودية والصفوية ، لا يقل عن التباين الذي نراه بين صور الحروف المكونة لهذه المجموعات . فأنت ترى في هذه الصورة وقد كتب حرف الألف في الصفوية بصور متباينة ، تكاد تجعل من الصعب التوصل الى انها تمثل كلها هذا الحرف ، ثم ترى الحرف نفسه في (الثمودية) ، وقد كتب بصور متباينة ، ويقال نفس الشيء بالنسبة لهذا الحرف في الكتابة اللحيانية . ونجد هذا التباين في كل الحروف الباقية كذلك . أما المسند ، فلا نجد فيه هذا التباين ، مما يحملنا على ارجاع سببه الى ضعف وقوة يد الكتاب ، والى تباين القلم الذي يكتب به . فالمسند قلم ، استعمل في تدوينه قلم حاد قوي ، حفر الكتابة على الحجر حفراً وبعناية ، بسبب انها وثائق وكتابات ذات أهمية بالنسبة لكاتبها ، أما الأقلام الأخرى، فقد استعملت في التعبير عن خواطر في الغالب : لذلك سجلها كاتبها بأي أداة وجدها او

الترقيم :

لقد تحدثت عن الترقيم عند الصفويين ، وذكرت أنهم ساروا فيه من الواحد الى الخمسة على أساس وضع خطوط عمودية ، يمثل كل خط منها العدد (١) . فإذا أرادوا كتابة الرقم (١) ، وضعوا خطاً واحداً يمثله . وإذا أرادوا كتابة (٢) ، وضعوا خطين عموديين . وإذا أرادوا العدد (٣) ، وضعوا ثلاثة أعمدة . وإذا أرادوا العدد (٤) ، كتبوا أربعة خطوط عمودية . وأما إذا أرادوا الرقم (٥) وضعوا خمسة خطوط .

وكتابة الأرقام من المسائل العويصة التي جابهت الكتاب في الأزمنة القديمة . وقد كان كتابهم يكتبون بالحروف ، ولكنهم كانوا إذا أرادوا تدوين الأرقام تحيروا: هل يكتبونها كتابة بالحروف أو يجعلون لها رموزاً خاصة تشير الى الأعداد . وقد وجدنا أن العرب الجنوبيين كانوا قد اختاروا الخط العمودي لتمثيل الرقم (١) ، فإذا أرادوا الرقم (٢) ، وضعوا خطين ، وإذا أرادوا الرقم (٣) ، وضعوا ثلاثة خطوط . وإذا أرادوا الرقم (٤) ، وضعوا أربعة خطوط . ولصعوبة الاستمرار على هذه الطريقة ، بسبب كبر الأعداد ، اختاروا الحرف الأول من لفظة خمسة وهو الخاء لتمثيل العدد (٥) ، واختاروا الحرف (ع) وهو الحرف الأول من العدد عشرة لتمثيل هذا العدد ، واختاروا رموزاً أخرى كما رأينا لمعالجة مشكلة العدد عندهم ، فحلوا بذلك عقدة الترقيم بعض الحل، ولم يبلغوا منه التمام .

وقد اختارت بعض الشعوب النقط ، بدلاً من الخطوط . فالرقم (٧) مثلاً تمثله سبع نقط، والرقم (٣) تمثله ثلاث نقط . وسارت شعوب أخرى على طريقة الخطوط فرمزوا عن الرقم (٥) بخمسة خطوط ، وعن الرقم (١٠) بعشرة خطوط عمودية ، وعن الرقم (١٥) بخمسة عشر خطاً عمودياً . ودفعتهم صعوبة كتابة الأرقام الكبيرة بهذه الطريقة ، الى التفكير في طريقة أخرى تكون مختصرة بعض الاختصار وسهلة في التعبير عن قيم الأرقام ، فاختر بعضهم النقطة رمزاً عن العدد (١٠) ، واختار بعض آخر خطاً أفقياً ليكون ذلك الرمز ، وبذلك سهلت عليهم كتابة الأرقام الآحاد مع العشرات . فإذا أرادوا كتابة الرقم (١٠) ، وضعوا نقطة واحدة (٠) أو خطاً أفقياً على هذا الشكل - ليشير الى الرقم (١٠) ، وإذا أرادوا الرقم (١١) ، كتبوه على هذه الصورة : (١٠) أو (١ -) .

وإذا أرادوا الرقم (١٥) ، كتبوه على هذا الشكل (١١ ١١١٠) او على هذا الشكل : (١١ ١١١ -) .

وغير الفينيقيون وبنو إرم وأهل تدمر بعض التغيير في شكل الخط الأفقي الدال على العدد (١٠) ، بأن جعلوا في طرفه الأيمن خطأً ممتداً الى الأسفل قليلاً على شكل زاوية متجهة نحو اليسار . ثم أجرى النبط تعديلاً يسيراً في هذه العلامة الجديدة بأن جعلوا رأسها متجهاً الى أعلى اليمين ، اي نحو الزاوية اليمنى للمادة التي يكتب عليها . أما مؤخرتها ، فقد وجهوها نحو الجهة الجنوبية اليسرى^١ .

وقد سار الفينيقيون وبنو إرم على طريقة الترقيم بالخطوط العمودية للأعداد من (١) الى العدد (٩) . ولتسهيل قراءة الأعداد التي تزيد قيمتها العددية على ثلاثة ، جعلوا كل ثلاثة خطوط متقاربة، بحيث تظهر في شكل مجموعة واضحة ، وتمثل هذه المجموعة الرقم (٣) ، ووضعوا على يسار هذه المجموعة ما يكملها لتكوين العدد المطلوب . فكانوا اذا أرادوا مثلاً كتابة الرقم (٥) ، كتبوه على هذه الصورة : (١١ ١١١) اي الرقم (٣) الذي تمثله ثلاثة خطوط عمودية منضمة بعضها الى بعض ، ثم الرقم (٢) الذي يمثله خطان منضمان^٢ ، وبين هذين الرقمين فراغ قليل يفصل بين العددين . واذا أرادوا الرقم (٦) كتبوه مجموعتين متجاورتين ، كل مجموعة ذات ثلاثة خطوط منضمة ، وبين المجموعتين فراغ صغير . غير ان بعض الكتابات كتبت الرقم (٦) على هذا الشكل : ١١١ ١١١ أي انها وضعت الرقمين ثلاثة أحدهما فوق الآخر ، ليشير هذا الوضع الى حاصل جمع العددين ، وهو ستة^٣ .

وقد اصطلح النبط على اتخاذ علامة خاصة بالعدد (٤) جعلوها على هيئة التاء في المسند ، أي على هذا الشكل : (X) ، كما اصطالحوا على اتخاذ علامة أخرى خاصة بالرقم (٥) ، شكلها قريب من شكل الرقم (٥) في الحروف اللاتينية ، اي على هذا الشكل تقريباً : (5) . على حين رمز غيرهم مثل أهل تدمر عن الرقم (٥) برمز يشبه حرف الـ (Y) في الأبجدية اللاتينية . فإذا أرادوا كتابة

Mark Lidzbarski, Handbuch der Nordsemitischen Epigraphik, Welmer, 1898, S. 198.

المصدر نفسه (ص ١٩٩) .

الرقم (٦) ، وضعوا الرقم الذي يرمز عن العدد (٥) ، ووضعوا خطأً على يساره ليشير بذلك الى العددين خمسة زائداً واحداً (٥ + ١) (١ ٧) ومجموعهما ستة . واذا أرادوا الرقم (٧) ، كتبوا خمسة زائداً خطين بوضعان على يسار الرقم (٥) ، ليتكون من العددين العدد (٧) ، (١١ ٧) ، وهكذا الى العدد (٩) .

وقد سار الكتاب في ترقيم الأعداد التي بعد العشرة على طريقتهم التي اتبعوها في السير أفقياً في الترقيم ، إلا في حالات قليلة ساروا على طريقة وضع الأرقام بعضها فوق بعض ، وجعلوا للرقم (٢٠) علامة تتألف من نقطتين إحداها فوق الأخرى ، او من خطين أفقيين أحدهما فوق الآخر على شكل علامة مساوي (=) في علم الحساب ، أو من علامة تشبه حرف الشين في المسند (ʒ) ، او من علامة تشبه حرف الـ (N) في اللاتية . ووضع النبط للعشرين علامة تشبه الـ (3) اللاتيني في بعض الأحيان ، وتشبه الرقم (8) اللاتيني في أحيان أخرى، غير أنهم فتحوا النهاية السفلى من الرقم (8) جعلوها مفتوحة في الغالب .

وتكتب الأعداد الآحاد على الجهة اليسرى من العشرات ، فإذا أردنا كتابة الرقم (١١) ، كتبنا الرقم (١٠) أولاً ثم العدد (١) من بعده ويكتب الى يسار الرقم (١٠) . فإذا أردنا كتابته على الطريقة الفينيقية او الإرمية ، كتبناه على هذه الصورة : (١ -) . واذا أردنا كتابته على طريقة أهل تدمر او طريقة النبط ، وضعنا العلامة التي وصفناها الخاصة بالعشرة ، ووضعوا الى يسارها خطأً واحداً يمثل العدد (١) ، واذا أرادوا العدد (١٢) ، وضعوا خطين بعد الرقم (١٠) ، واذا أرادوا (١٣) وضعوا ثلاثة خطوط . واذا أرادوا (١٤) ، وضعوا أربعة خطوط . أما اذا أرادوا الرقم (١٥) ، فإن منهم من وضع خمسة خطوط بعد الرقم عشرة كما كان يفعل الفينيقيون ، ومنهم من اتبع هذه الطريقة وطريقة تمثيل العدد بخطوط ، فوضع خمسة عشر خطأً لهذا العدد . ومنهم من وضع بعد العلامة الخاصة بالرقم (١٠) العلامة الخاصة بالرقم (٥) كالنبط وأهل تدمر .

أما مكررات العشرة ، فتكتب على هذه الصورة . إن كان العدد العشرات من الأعداد الزوجية فيكتب العدد بقدر احتواء العدد المراد تسجيله على العدد عشرين . فإذا أردنا كتابة الرقم (٤٠) ، كتبنا الرقم (٢٠) مرتين . وإن كان

العدد (٦٠) ، كتبنا العدد (٢٠) ثلاث مرات . وإن كان العدد (٨٠) ، كتبناه أربع مرات . أما إذا كان العدد العشرات من غير الأعداد الزوجية كما في مثل ثلاثين ، فإننا نكتب العدد (٢٠) أولاً ثم نضع الرقم (١٠) على يساره، فيتكون من مجموع قيمة العددين (٣٠) . أما إذا أردنا الرقم (٧٠) مثلاً ، كتبنا العدد (٢٠) ثلاث مرات ، ثم العدد (١٠) على الجهة اليسرى من الأرقام الثلاثة . وقد كتب هذا العدد في بعض الكتابات الإرمية بست نقط : ثلاث نقط في أعلا وثلاث نقط في أسفلها ، ونقطة على الجهة اليسرى من المجموعتين وفي مقابل الموضع الوسط الذي يكون الحد الفاصل بين المجموعتين وعلى هذا الشكل (١٠٠٠) .^١

أما العدد مئة ، فقد رمز عنه بعلامات متعددة ، منها هذه العلامات : (١٠) و (ϩ) و (⊖) . ونرى أن العلامة الأولى هي توسيع للرقم الذي رمز اليه عن العشرة . وقد اتخذ النبط علامة تشبه الرقم (٩) ، أو الحرف (p) في اللاتينية . وقد سبق أن ذكرت ان العرب الجنوبيين كانوا قد اتفقوا على اعتبار الحرف الأول وهو الميم من لفظة مئة هو الرمز الذي يشير الى العدد ، واعتبروا نصف هذا الحرف رمزاً على العدد (٥٠) باعتبار ان الخمسين نصف المئة، فنصف الحرف ميم هو رمز عن هذا العدد .

أما العدد الألف ، فقد وجدت له في بعض الكتابات علامات خاصة . وقد رمز عنه الفنيقيون وبنو إرم بعلامة هي عبارة عن خط مائل يتصل به ما يشبه نصف القوس من جهة اليمين ، ورأس الخط مائل الى اليمين ، أما أسفله فتجه نحو اليسار^٢ .

ولم ترد في الكتابات الصفوية أرقام كثيرة ، لذلك لا نستطيع أن نحكم على طريقتهم في الترقيم وفي العد . غير أن في استطاعتنا القول ، استناداً الى هذه النماذج القليلة التي وصلت اليها ، أنهم اتبعوا في الترقيم الطريقة النبطية وطريقة أهل تدمر ، ولم يتبعوا طريقة العرب الجنوبيين في تدوين العدد . ويمكن ارجاع سبب ذلك الى اتصالهم اتصالاً مباشراً بالنبط وبأهل تدمر ، والى تأثيرهم بثقافتهم .

١ راجع الالواح الخاصة الملحقه بكتاب : M. Lidzbarski والخاصة بالنصوص .
٢ راجع آخر المصور الملحق بكتاب M. Lidzbarski اللوح الخاص بالارقام .

ولما كانوا محتاجين الى تدوين الأرقام اضطروا الى اقتباس طريقة النبط وأهل تدمر في كتابة الأعداد بالأرقام .

وتجد في الجدول المقابل كيفية تدوين الأرقام في الفينيقية والآرامية، والتدمرية ، والنبطية . وهي تختلف اختلافاً بيناً عن صور الأرقام التي نستخدمها اليوم في عربيتنا . ونلاحظ أن من بين الترقيم في المسند ، وبين الترقيم في هذه الأبجديات تشابه كبير الى حد الرقم (٤) ، ثم يختلف ، فقد أخذ العرب الجنوبيون الحرف الأول من لفظة (خسة) ، وجعلوه رمزاً الى العدد (٥) ، بينما اتبع الباقون طريقة التخطيط بالرقم (١) الى العدد (٩) في الفينيقية ، ثم بدلوا الطريقة . وسلكت هذا المسلك الأبجدية الآرامية ، أما الأبجدية التدمرية والأبجدية النبطية ، فقد اتبعنا سبيلاً آخر ، فيه اختلاف في بعض الأعداد ، ولكن بينها تجانساً بوجه عام . مما يدل على أنها أخذت الترقيم من منبع واحد .